حضارة زمبابوى

أصلها وأهميتها فى القاء الضوء على العلاقات العربية الأفريقية منذ أقدم العصور مع عرض وتحليل لأهم النتائج التى أسفرت عنها جهود البعثات الأثرية المختلفة فى هذه المنطقة

للدكتور / شوقى عطا الله الجمل
أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر
بمعهد البحوث والدراسات الأفريقية
بجامعة القاهرة .

أصل كلمة زمبابوى ودلالتها :

يرتبط اسم زمبابوى بالمنطقة التى كانت تسكنها بعض قبائل (البانتو) أجداد قبائل الماشونا (١) ، والتى قامت فيها مملكة عظيمة على يد فرع من شعب الزولو وهى مملكة الميتابلى (Matabele) – والتى يرجع الفضل فى تأسيسها عام ١٨٣٠ م إلى الزعيم مزلكازى (MAZILIKAZI) وقد كانت هذه البلاد تحت سلطة الملك لوبنجيولا (Lobengula) حين بدأت الأنظار تتجه إليها بعد زيارة المستشكف الاسكتلندى دافيد لفنجستون (Dr. David Livingstone) لها فى عام١٨٥١(٢).

---

(١) أطلق الأثريون على الشعوب التى وجدها الأوربيون فى روديسيا اسم الماشونا Mashona ، والحقيقة إن لفظ Shona لا يدل فقط على الجنس الذى يسكن المنطقة التى عرفت باسم أرض الماشونا Mashonaland – لكنه يشير إلى مجموعة لغوية كبيرة كما أننا نشير إلى أن الذين وفدوا إلى روديسيا واستقروا فيها من هذه المجموعة الكبيرة ينقسمون لعدة قبائل .

أنظر : Abraham, D.P. : The Early Political History of the Kingdom of Mwene Mutapa (Salisbury, 1962).

(٢) نشرت رحلات لفنجستون التى قام بها فى جنوب أفريقيا . =

ودخل تاريخ هذه المنطقة كلها فى مرحلة أخرى بوصول سيسل رودس (Cecil Rhodes) فى عام ١٨٧٠ إلى جنوب أفريقيا ، فقد اتجهت جهود هذا المستعمر البريطانى إلى مد نفوذ بريطانيا إلى هذه المنطقة ليتحقق الحلم الذى راوده فى أن تستطيع انجلترا أن تمد نفوذها من الكيب (الرأس) إلى القاهرة ، وأن ، ترتبط كل هذه المناطق بعضها بالبعض الآخر بخطوط حديدية وتلغرافية لتيسير مهمة انجلترا الاستعمارية فيها.ولتحقيق هذا الهدف أرسل رودس بعثة على رأسها صديق له هو (Rudd) عقدت مع الملك لوبنجيولا اتفاقاً لإستغلال مناجم الذهب فى بلاده ، وكون شركة جنوب أفريقيا البريطانية (British South African Company) — وكان يرمز لها بالحروف الأولى (B.S.A.C.)، وقد وقعت ملكة بريطانيا فى ٢٩ أكتوبر (١٨٨٩) مرسوم إنشائها ، وكان هذا المرسوم يحدد نشاط الشركة فى تشجيع الهجرة إلى مناطق جنوب أفريقيا الواقعة شمال بتشوانالاند وشمال غرب الترنسفال وغرب أفريقية الشرقية البرتغالية ، والعمل على تنمية التجارة بين انجلترا وهذه الجهات ، واستغلال مناجمها — وذلك فى ظل اشراف الحاكم العام البريطانى لجنوب أفريقية .

والملاحظ أن اتفاق رود مع الملك لوبنيجيولا لم يكن يشتمل إلا على التصريح باستغلال مناجم الذهب لكن إصدور المرسوم للشركة بهذا الشمول يدل على إتجاه رودس ، وعلى إقرار الحكومة البريطانية له ، والاحداث التالية التى انتهت باحتلال القوات التى أعدتها الشركة البريطانية لأراضى هذه المملكة الأفريقية وموت لوبنجيولا فى عام ١٨٩٤ تؤيد هذا الإتجاه . وقد كان الاسم الرسمى للمناطق الممتدة من الترنسفال إلى الطرف الجنوبى لبحيرة تنجانيفا — كما يبدو فى أوراق الشركة البريطانية هو زامبيزيا لكن منذ عام ١٨٩٥ غير هذا الاسم فاطلق على هذه الجهات

= أنظر :

— Livingstone, David : Missonary travels and researches in South Africa (London, 1837).

— Livingstone, David : Narrative of an expedition, Zambezi and its tributeries (1865).

اسم الرجل الذى ربط هذه البلاد بعجلة الإمبراطورية البريطانية فاصبحت تعرف باسم روديسيا(١) .

على أن الوطنيين الأفارقه -- لا يميلون إلى اطلاق اسم روديسيا على بلادهم ذلك الإسم الذى يرمز للمستعمر البغيض الذى سلبهم حريتهم وحقهم فى الحياة الكريمة فى وطنهم ، ويصرون على اسم زمبابوى (Zeimbabwe) الذى يرمز لماضيهم المجيد .

ومنذ أن بدأت الأضواء تسلط على (زمبابوى) وآثارها ــ أخذت التكهنات تثار حول أصحاب هذه الآثار ، فالأوربيون الذين شاهدوا هذه الآثار لأول مرة دهشوا لوجود حضارة أفريقية بهذا المستوى فى هذه الأماكن ، وذكروا إنه ليس من المعقول أن تنسب مثل هذه الحضارة لقبائل الماشونا (Mashona) التى وجدوها فى هذه المنطقة ، فهى تعيش ــ كما شاهدوها ــ حياة بدائية ، ومساكنهم لا تتعدى الأكواخ ، ويزاولون الزراعة بطريقة بدائية أيضاً ، فليس من السهل ــ فى نظرهم ــ تصور أن يكون التقدم الصناعى والفنى الواضح فى هذه الآثار من صنع هؤلاء القوم ــ ولذا ذهبوا إلى أن آثار حضارة زمبابوى ترجع إلى شعوب غريبة وفدت على هذه المنطقة(٢) .

حقيقة إنه كان لبعض الأقوام التى سكنت هذه المناطق قديماً مثل (البوشمن) حضارة عبروا عن بعض مظاهرها برسوم على الصخور الجرانيتية ونقوش على أكثر من ١٥٠٠ كهف فى روديسيا واستخدموا الألوان (الرمادى ، والأسود،والاصفر والأحمر ، والأبيض) فى تلوين رسومهم ــ لكن مما لا شك فيه أن هذا الفن

---

(١) للدراسة التفصيلية للأحداث التى أدت لبسط بريطانيا نفوذها كاملا على هذه الجهات ، وكذلك ما طرأ عليها سواء فى فترة إدارة الشركة لها ، أو فترة دخولها ضمن اتحاد وسط أفريقيا البريطانى (١٩٥٣ ــ ١٩٦٣) وحتى اعلان ايان اسميث رئيس حكومة الأقلية البيضاء فى ١١ نوفمبر ١٩٦٥ استقلال روديسيا .

أنظر : Black Colin : The lands and peoples of Rhodesia and Nyassaland (London,1961).

— Lockhart and Woodhouse : Cecil Rhodes, the Clossus of South Africa (N.Y. 1965).

(٢) أنظر Abraham, D.P. : Op. Cit,. (الباب الأول)

أصابه تغيير واضح منذ طلائع القرن الأول الميلادى ثم تعرضت المنطقة لغارات الزنوج البانتو الذين أدى زحفهم على المنطقة إلى انقراض معظم سكانها من البوشمن(١).

كما أن آثار زمبابوى المعمارية وغيرها من البقايا الأثرية موضوع حديثنا تمثل بلا شك مرحلة حضارية ومغايرة تماماً لهذه المرحلة السابقة فى تاريخ هذه المنطقة — ولذا فقد أثرت الشكوك وتباينت الآراء حول تاريخ زمبابوى وأصل الشعب أو الشعوب التى تركت بها هذه الحضارة الزاهرة وأكسبتها هذه الشهرة .

ولم يستطع الباحثون عن تاريخ زمبابوى أن يحصلوا من الوطنيين على معلومات دقيقة موثقة تجزم بالبناة الحقيقيين للآثار التى عثر عليها فى منطقة زمبابوى وتعطى توضيحاً حاسماً لأصل وأساس هذه التسمية — فالوطنيون لا يذكرون أكثر من أن أجدادهم هم الذين شيدوا هذه الآثار ، والبعض يتحدث عنها بشئ من التقديس لعلاقتها بأرواح هؤلاء الأجداد ، بينما يربطها البعض بقصص خرافية كأن يقولون ان طيوراً ضخمة جاءت من السماء وقامت بهذا العمل العظيم(٢) .

وبذا فتح الباب على مصراعيه لكثير من الآراء ليس فقط حول تاريخ هذه الآثار وإرتباطه بتاريخ السكان أنفسهم بل أيضاً حول أصل كلمة زمبابوى نفسها .

ونجمل هنا بعض الآراء التى ذكرت فى هذا المجال :

١ — يذهب تيو دور بنت (Theodore Bent) — وهو من الآثريين الذين كان لهم دور بارز فى الكشف عن بعض خبايا أثار (زمبابوى) إلى أن زمبابوى

---

(١) للدراسة المستفيضة لهذه الرسوم والنقوش :

ا — أنظر الرسوم المرفقة مع هذا البحث .

Ronsford Oliver : The Rulers of Rhodesia from earliest times to Referendum (London, 1968), P. 748.

Desmond Clark, J. : The Prehistory of Africa (1970), P.P. 210 and 211.

(٢) اشتهرت بعض القبائل التى كانت تسكن هذه المنطقة مثل الباروتسى Barotse والماكالنجا Makalanga بمهارتهما فى فن العمارة والبناء . وهذه القبائل — كما يقول الرحالة الذين زاروا هذه المناطق تتميز بمستوى عقلى أكثر من القبائل الأخرى ، كما أن لديهم استعدادا أكثر للعمل ، ويمتازون بالنظافة وحبهم للغناء ولهم عاداتهم الخاصة بالزواج ، ويمارسون طقوسا معينة فى مختلف المناسبات .

أنظر : Hall, R.N. : Great Zimbabwe (London, 1909), P.P. 84—99.

كلمة بانتوية مركبة من كلمتين (قرية أو مجموعة قرى Zim ، الرئيسية — babwe) أى يعنى القرية أو المدينة الرئيسية ، أى المدينة الأولى فى المنطقة أو ما نعبر عنها فى وقتنا هذا (بالعاصمة) .

وأبحاث بنت تؤكد أن هذه الآثار الحجرية التى ترتبط بالعاصمة القديمة لهذه البلاد أسهم فيها عرب شبه الجزيرة العربية بسهم وافر(١) .

٢ — ربط آخرون بين لفظ زمبابوى وسبأ والعلاقات القديمة بين السبأيين وهذه البلاد الافريقية ، ويشير هؤلاء إلى أن هذا اللفظ أطلق على نهر سابى الذى لا يبتعد كثيراً عن مدينة زمبابوى ، وأن اللفظ حرف بعد ذلك(٢) .

٣ — ويرى (Selous) أن الإسم الصحيح هو (Zim-ba-gwi) وأنها تعنى المبانى الحجرية (Zimba = buildings, gwi = Stone) ، ويقول إنها مركز المنطقة الجنوبية فى روديسيا والمفتاح لمناطق تعدين الذهب ، والنحاس والفحم وأن الإسم يطلق على الخرائب والبقايا الأثرية الحجرية التى على التل المشرف على هذه المنطقة(٣) .

---

(١) Bent, J.T. : The Ruined cities of Mashonaland (1872).

وقد حصل (بنت) على درجة الشرف فى التاريخ من جامعة اكسفورد فى عام (١٨٧٥) وأصبح عضواً فى مجلس ادارة الجمعية الجغرافية البريطانية فى (١٨٩٠) ، وقام بدراسة وتنقيب فى آثار زمبابوى — وقد ركز فى دراسته على المقارنة بين حضارة جنوب غربى آسيا وحضارة زمبابوى ووصل نتيجة لدراسته — إلى أن الآثار التى ترتبط بمناطق التعدين فى زمبابوى ، ترجع إلى هجرة من جنوب شبه جزيرة العرب حيث اشتهر هؤلاء بالتجارة . وله بحث قيم آخر نشرته مؤسسة Hakluyt التى اشتهرت بنشر سلسلة عن الرحلات الهامة فى العالم Bent : Early Travels in the levant. وحين ألف Hall كتابه (Great Zeimbabwe, London 1909) الذى سنشير إليه هنا مراراً — أهداه إلى ذكرى (بنت) تقديراً لجهوده فى الكشف عن الكثير من خبايا وآثار زمبابوى — وتقديراً لكتابه السابق عن مدن الماشونا التى اندثرت "To the memory of the late Theodote Bent, explorer of the Great Zimbabwe, 1891 and author of the Ruined Cities of Mashonaland".

(٢) أشار إلى ذلك Professor Miller الأثرى المتخصص فى آثار شبه جزيرة العرب .

(٣) Selous, F.E. : Mashona and gold extracts (Royal Geographical Society, March 1899).

٤ — ويرجع البعض التسمية إلى إسم قبائل (MOZIBAS) أو (ZAMBAS) وقد تركزت هذه القبائل بصفة عامة فى مدينة (تيتى Tete) على نهر الزمبيزى(١).

هذه بعض الآراء التى أثيرت حول اسم زمبابوى وأصله ، وقد بدأ الاسم يبرز منذ عام (١٥٣٢) حين تحدث (De Barros) عن هذه الآثار باعتبارها بقايا القصر الملكى (The King's Palace on The Great Zimbabwe) ولما زار الرحالة دورات بربروسا (Duarte Barbosa) المناطق الساحلية فى فى شرق القارة أشار إلى أنه فى الداخل من (سوفالا) على مسيرة ١٥ أو ٢٠ يوماً من الساحل توجد مستعمرة ضخمة هى (Zimbaohe) ويشير إلى أن سكانها تجار يتبعون ملك (Benemotapa)(٢) .

كما أن بعثات الجزويت التى بدأت تفد للمنطقة اثر استيلاء البرتغال على هذه الموانى منذ ١٥٠٥ فى شرق القارة — أخذت تردد اسم (زمبابوى) ، ومنذ (١٥٦٠) نجد هذا اللفظ يتردد بكثرة ملفتة للأنظار فى وثائق هذه البعثات التبشرية(٣) .

وكانت أبرز هذه البعثات البعثة التى رأسها جونسالفوسيلفيرا (Gonsalvo Silviera) ، وترجع شهرة هذه البعثة بالذات إلى النهاية التى انتهى إليها المبشر المذكور والأحداث التى ترتبت عليها — فقد استطاع المبشر المذكور أن يتقرب من الملك الأفريقى ، وقام بتعميده هو وكبار رجال دولته فى زمبابوى وأهدى للملك تمثالا للسيدة العذراء من الفضه ، لكن لم يلبث أن داخلت الملك الشكوك فى نوايا رجال الدين المسيحين وانتهى الأمر بقتل الآب ،(سلفيرا) فى عام (١٥٦١)، وتتهم المراجع البرتغالية التجار العرب بأنهم أوغروا صدر الملك ضد المسيحين

---

(١) Gaton, Thompson : The Zimbabwe /Culture 'London, 1971), P. 12.

(٢) زار (بربوسا) موانى كلوه ، ومبسه ، ومالندى ، وبمبا ، وزنجار — وغيرها من موانى الساحل الشرقى بعد اكتشاف طريق الرأس — وتحدث عن حضارة هذه البلاد التى بهرته .

أنظر : Coupland, R.: East Africa and Its Invaders (London, 1938), P. 39.

(٣) Jseuit Records (1560 — 1750).

وأثاروا مخاوفه منهم — وكان رد البرتغال على هذه الأحداث أن أرسلت قوة عسكرية حددت أهدافها كما يلى(١) :

١ — العمل على نشر المسيحية بين القبائل الوثنية فى هذه البلاد .

٢ — الثأر لمقتل الآب سلفيرا .

٣ — الحصول على ثروة المونوموتابا لتستخدم فى تحقيق أهداف البرتغال ونشاطهم فى المحيط الهندى .

ويبدو أن البرتغال نجحوا فى فرض سيطرتهم — لفترة قصيرة — على هذه البلاد،وتشير وثائق البعثات التبشيرية للخزوبت إلى أنه أقيمت كنيسة عظيمة فى (زمبابوى) ..

وتحدث ليفيوسانيوتو (Livio Sanute) الذى زار هذه المناطق فى ١٥٨٨ عن زمبابوى ، فذكر إنها مدينة هامة تقع فى وسط المناجم القديمة للمونوموتابا وأنها تعنى فى اللغة القومية للسكان (القصر) ، وهى تطلق ليس على مكان واحد محدد لكن حيث يحل ويستقر الملك الحاكم فهى مركز الملكة الحاكمة .

ويشير إلى نفس الفكرة الرحالتان مونتيرو (Monteiro) وجاميتو (Gamitto) اللذان ، قاما فى عام (١٨٣١) برحلة فى زمبيزيا فتحدثا عن عدة أماكن أطلق عليها هذا اللفظ(٢) .

هذا على أن الخريطة الفرنسية التى رسمت فى عام ١٧٠٥ ووضحت عليها المناطق التى ازاحت البعثات الكشفية النقاب عنها— تشير إلى (زمبابوى) (المدينة) الملكية (لمملكة المونوموتابا) .

هذا وكانت إشارة آدم رينذر (Adam Renders) الأمريكى لزمبابوى ١٨٦٣ ثم زيارة الرحالة الألمانى (Karl Mauch) وإشارته لآثار زمبابوى مما لفت الأنظار أكثر إليها(٣) .

---

(١) Hall and Neal : Ancient Ruins of Rhodesia, P.P. 190—191.

(٢) Ibid P. 193.

(٣) أنظر مجلة الجمعية الجغرافية الملكية (فبراير ١٨٩١) .
R. G. S. Journal, (February. 1891).

وسلطت رحلات لفنجستون ـ التى أشرنا إليها فى مقدمة هذا البحث ـ الضوء على هذه المنطقة أكثر خاصة أن هذا الرحالة الذى أنتهت حياته فى عام (١٨٧٣) فى قرية تشيتامبو (Chitambo) الواقعة على أحد روافد الكنغو ـ ونقلت جثته إلى انجلترا حيث دفن فى وستمنستر أبى (Westminster Abby) فى مقبرة العظماء ـ هز مشاعر العالم كله بما كتبه عن هذه البلاد ـ وتجـارة الرقيق ـ وبالنهاية التى انتهت بها حياته ـ فاتجهت الأنظار لهذه المناطق التى كانت مسرح نشاطه (١) .

فقد قامت الجمعيات التبشيرية المختلفة من مختلف العواصم الأوربية ، وكذلك الجمعيات العلمية بارسال مبعوثيها لها وظل هذا لمدة ميداناً للتنافس بين هذه الجمعيات.

وكان نصيب الجمعية الجغرافية الملكية بلندن(R. G. S.) فى هذا المجال نصيب الأسد ، وكان منبرها مجالا للعديد من الأبحاث التى ألقاها الرحالة ، والأثريون وغيرهم عن زمبابوى وآثارها وحضارتها وتاريخها ، كما كان لمجلتها الفضل فى نشر العديد من الأبحاث التى لازالت هى المصدر الرئيسى للدراسات المتعلقة بهذه البلاد وآثارها ـ خاصة أنها ثمرة أبحاث ميدانية جادة فى نفس المنطقة .

وقبل أن نعرض أهم ما كشفت عنه هذه البعثات من آثار ودلالتها نشير إلى أهميتها فى القاء الضوء على العلاقات القديمة بين العرب والأفارقه فى هذه الجهات .

أهمية آثار زمبابوى فى توضيح العلاقة القديمة بين العرب والأفارقة :

لدراسة آثار زمبابوى أهمية خاصة بالنسبة للأفارقه الوطنيين وبالنسبة للعرب وعلاقاتهم بالقارة الأفريقية وشعوبها من أقدم العصور .

---

(١) أشار الرحالة (Stanley) الذى أرسلته الجمعية الجغرافية الملكية بلندن إلى ذلك بقوله :
«إننى فى حياتى الصحفية جبت البقاع لأسجل أخطار المعارك فى ميادين القتال كما شاهدت أحداث الثورات والحروب الأهلية والنزاع ، بل حضرت اللحظات الأخيرة للمحكوم عليهم بالإعدام لأسجل كلماتهم وتوصياتهم لكن لم يهز مشاعرى أى حدث من هذه الأحداث كما هزتها العبارات التى سمعتها من لفنجستون معبراً عن آلامه وآماله

— أنظر : Stanley, H.M. : How I found livingstone in Central Africa (2nd edition), P.P. 402—425.

— Walter, H. : The last Journals of David Livingstone in Central Africa (London, 1874).

فأولا : من جهة الوطنيين الأفارقه فى هذه البلاد ، فان هذه الآثار تكشف النقاب عن جانب من الحضارة الأفريقية التى قامت فى هذه المنطقة فى وقت سابق للغزو الاستعمارى الأوروبى .

وهذا يدحض إدعاءات المستعمرين الأوربيين بأنهم جاءوا لمناطق وشعوب لا حضارة لها ، ليمسكوا بأيدى هذه الشعوب فى مضمار الحضارة،والواقع عكس ذلك تماماً . فكما نعلم عمد المستعمرون لمحو الشخصية الأفريقية ، ومحاربة اللغات القومية وغيرها من مقومات الأفريقى التى تربطه بماضيه وحضارته(١) .

فحضارة زمبابوى ترتبط فى ذهن الروديسيين الوطنيين بتاريخهم القومى ، فهى ترمز إلى ماضيهم المجيد ، وبالتالى للمستقبل المرتقب ، ولعل هذا هو السبب فى أن الاحزاب الوطنية حرصت على أن تنتسب إلى هذا الإسم العريق ، فقد قام إتحاد شعب زمبابوى الأفريقى (Zimbabwe African Peoples Union) ويرمز له بالحروف الأولى زابو (Zabu) ، واتحاد زمبابوى الأفريقى القومى (Zimbabwe African Nationalist Union) زانو (Zanu) .

وقدم عبرد . ازبكوى (Dr. Ozikwe) فى نيجيريا عن هذا الشعور عند جميع الشعوب الأفريقية التى عانت من الاستعمار ، والتى تنظر — كما قال — إلى تراثها الماضى على أنه الأساس الذى تستند عليه التبرهن على أنه كان لها نصيب من الحضارة الإنسانية ، وعلى حقها فى الحرية والحياه الكريمة .

---

(١) أسدل الاستعماريون الأوربيون فى البداية على أعمالهم الاستعمارية ستاراً انسانيا ، لكن منذ أوائل القرن العشرين لم يجد الاستعماريون أنفسهم ما يدعوهم لذلك فكانت تصريحاتهم مكشوفة عن الدوافع الحقيقية وراء عملياتهم الاستعمارية — فمثلا فى عام (١٩٢٣) صرح البرت سرو ALBERT SARRAUT وزير المستعمرات الفرنسية بقوله «ما الفائدة فى التمويه على الحقيقة ؟ إن الاستعمار منذ البداية لم يكن عملا من أعمال المدنية ، أو رغبة فى تمدين المستعمرات — إنما كان عملا من أعمال القوة دعت إليه المصالح — إنه حدث هام فى المنافسة الحيوية المتصلة المتزايدة بين الناس أفراداً وجماعات.

وصرح أحد الكتاب الفرنسيين ساخراً ،إن مهمة فرنسا الإنسانية فى بلد كالجزائر مثلا - انحصرت فى تعلم الوطنيين هناك شرب الخمور — الرديئة ، وطائفة أخرى كبيرة من الرذائل التى كانوا يجهلونها » .

أنظر : انكروما ، كوامى : نحو تحرير المستعمرات (ترجمة عبد العزيز عتيق ١٩٥٨) .ص ٥٠.

والوطنيون فى روديسيا يرون أن المبانى الحجرية والقباب والآثار الأخرى التى عثر عليها فى مدينة زمبابوى العظيمة كما يطلقون عليها ، والمناطق المحيطة بها ، والتى تنظر إليها الحكومة العنصرية فى روديسيا اليوم على أنها مجرد أحجار . وتدرجها ضمن المناطق التى يستطيع الأوربيون أن يقضوا فيها عطلة نهاية الأسبوع ترمز فى نظرهم لحضارتهم التى تمتد جذورها عبر التاريخ فهى بمثابة الشعلة التى تضئ أمامهم الطريق ، أو كما عبر عنها أحد الكتاب (Political Dynamite)(١).

فهى ذات مغزى سياسى عند الوطنين ، وقد عبر أحدهم لأحد الأجانب الذين أبدوا إعجابهم بهذه الآثار عند زيارته لها بقوله « إن الجميل الذى يمكن أن تقدمه لنا هو أن تكشف وتوضح للعالم ان هذه الحضارة فى زمبابوى قامت على أكتاف الأفريقيين أنفسهم»(٢) .

ولذلك يشعر الأفريقيون فى روديسيا بضيق ممن يحاولون أن يقللوا من شأن هذه الآثار أو ممن يحاولون أن يقللوا من دور الوطنيين أنفسهم فيها .

ثانياً : لآثار زمبابوى أهمية خاصة بالنسبة للعلاقات القديمة بين العرب والقارة الأفريقية وسكانها . وعلاقة العرب بالساحل الشرقى للقاره قديمة وطبيعية فقد جاء العرب إلى هذا الساحل الشرقى للقارة من الجزيرة العربية ، خاصة من الأقاليم الساحلية المواجهة لهذا الساحل ، واستقروا فى هذه المناطق وأصبحت لهم تجارة زاهرة ، بل اندمجوا فى السكان وكونوا إمارات فى شرق القارة شهد بعظمتها وتحضرها كل من زارها من الرحالة العرب والأجانب على السواء — ومعرفتنا بهذا الإستقرار العربى ومعلوماتنا عنه لا تصل إلى تحديد بدايته فالوثائق والكتابات عنه لا ترجع إلا للقرن السابع أو الثامن الميلادى(٣) .

---

(١) Mishali, Benedict Vulindela : Rhodesia, Background to Conflict (London, 1967), P. 19.

(٢) Ibid P. 20.

(٣) Keltie, Scott : The Partition of Africa (London, 1895), P. 10.

وأنظر كمثل للرحالة العرب الذين تحدثوا عن هذا الموضوع . رحلة ابن بطوط (نشر دار التراث بيروت ١٩٦١) ص ٢٤ وما بعدها .

وللدراسة التفصيلية للاستقرار العربى فى هذه المهاجر لشرق أفريقيا أنظر :

شوقى الجمل : تاريخ كشف أفريقيا واستعمارها (الفصل الثالث عن نشاط العرب فى شمال القارة وسواحلها الشرقية ص ٣٥ وما بعدها) .

لكن مما لا شك فيه أن هذا الاتصال العربى الأفريقى أقدم من ذلك بكثير ، فأهمية هذه الدراسة لآثار زمبابوى أنها ترجع بهذه العلاقات العربية الأفريقية إلى عصورها السابقة لهذا الإمتداد العربى الذى أشرنا إليه .

فكثيرون يرجحون أن ــ الآثار القديمة فى زمبابوى لها علاقة بعرب سبأ .

وقد تعرضت مصادر أخرى متعددة لهذه الرابطة وعالجتها ، ولعل أوفى ما كتب فى هذا الشأن الأبحاث القيمة التى قام بها البروفسور كين (Keane) نائب رئيس المعهد الانثرويولوجى فى انجلترا وأيرلندا ، والتى نشرت فى عام (١٩٠١)وقد خرج هذا العالم من أبحاثه بأنه يرجح أن المنطقة بين الزمبيزى اللمبوبو هى المصدر الرئيسى للذهب الذى كان يصدر من قرب ميناء (سوفالا) الحالى وأن العرب الحميريين هم الذين كانوا يقومون بعملية تسويقه ، وأنهم كانوا فى الغالب يشتركون فى بعض عمليات الإعداد والتعدين الخاصة بهذا المعدن .وقد بنى رأيه هذا على أساس دراسة مقارنة للآثار فى كل من زمبابوى ومأرب(١) .

وقد ذهب (O. Neill) الذى كان قنصلا لانجلترا فى موزمبيق فى بحثه الذى ألقى أمام الجمعية الجغرافية الملكية بلندن فى اجتماعها فى ١١ مايو سنة (١٨٨٥) إلى أن آثار زمبابوى ترتبط بنشاط الفينيقيين البحرى مشيراً بذلك إلى هجرة الفينيقيين من شبه جزيرة العرب ، وربط بين نشاطهم البحرى والتجارى وهذه الآثار .

وأيد هذا الرأى (Colonel Thomas Holdieh) فى بحث مستفيض نشرته الجمعية الجغرافية الملكية بلندن أيضاً فى أبريل سنة ١٨٩٩(٢) .

كما أن (Neal and Johnson) اللذين قاما بالتنقيب والدراسة فى هذه الآثار لمدة طويلة ــ يرجحان أن هذه المنطقة فى شرق أفريقيا هى مصدر الثروة الذهبية للعالم القديم وقد قاما فى عام (١٩٠٠)،بدراسة جيلوجية للمنطقة وصخورها

---

(١) Keane, A.H. : The Gold of Ophir, Whence brought & by whom (leading article), London, Morning Post — 24 September, 1901.

(٢) The Royal Geographical Society's Journal (April 1899).

أيدت رأيها هذا ،وقد عثرا أثناء عمليات التنقيب التى قاما بها على أكثر من أربعين أوقيه من الذهب ، وأسلاك حديدية وقطع معدنية أخرى فى أطلال زمبابوى(١) .

هذا على أن العالم الألمانى الأصل (Henry Schilchter) والذى أصبح مواطناً بريطانياً ، وتخصص فى بعض الدراسات التاريخية والجغرافية خاصة المتعلقة بالقارة الأفريقية ــ أبرز فى بحث عن (السمات السطحية) لشر ق أفريقيا ــ قدمه للجمعية الجغرافية الملكية ــ غنى هذه المنطقة فى الذهب وأشار إلى أن الذين كانوا يقومون بتسويقه هم كما تدل الأبحاث ــ عرب شبه الجزيرة العربية (٢) وقد أتاح له دخوله فى خدمة شركة جنوب أفريقية البريطانية منذ ١٨٩٧ ــ فرصة القيام بأبحاث أخرى فى المنطقة أكدت استنتاجاته السابقة ، وقد قدم بحثاً آخراً للجمعية الجغرافية الملكية ضمنه نتائج أبحاثه الميدانيه المتعددة التى تؤكد صلة هذه المناطق بشبه جزيرة العرب(٢) .

وقد أشار البروفسور ميلر (Professor Muller) الأثرى الاسترالى الجنسية ، وهو متخصص فى آثار شبه جزيرة العرب ــ إلى الساميين الذين كانوا يشغلون المنطقة الجنوبية الغربية من شبه الجزيرة (اليمن) ومن هؤلاء خرج فرع هو الذى أسس فى عام ٢٠٠٠ ق . م مملكة الفينيقيين على شاطئ البحر المتوسط ، والتى مدت نفوذها التجارى والحضارى بل والسياسى على مناطق شاسعة ، فكان من مظاهر نشاطها (حضارة قرطاج) فى شمال أفريقيا ــ بينما خرج فرع آخر إلى شرق أفريقيا واستقر هناك وهو الذى أسهم بنصيب فى حضارة زمبابوى . ويقارن بين (آثار زمبابوى) وآثار بلقيس (قرب مأرب) فى شبه جزيرة العرب ، ويذكر أن أغلب آثار زمبابوى فى روديسيا والتى ترجع إلى العصور الأولى تؤكد الهجرة من سبأ إلى أرض المونوموتابا ويدلل على ذلك بحقيقة أن شعب سبأ اشتهر بغناه فى الذهب فى الوقت الذى لا يكاد يوجد فيه هذا المعدن فى شبه جزيرة العرب ذاتها ــ وهذا

---

(١) Neal, W.G. and Johnson : The Ancient Ruins and Explorers (Bulawayo Chronicle, 1900).

(٢) Schlichter, Henry : Ptolemy's Topography of Eastern Equatorial Africa (G.R.S., Nov. 1893).

(٣) G. R. S. Journal, April, 1899.

ما أدى إلى أن يؤكد العالم بروكش (Brugsch) استقرار عدد من أهل سبأ بأرض المونوموتابا ، وأن الآثار التى عثر عليها هناك ترجع إلى هذا الحدث(١) .

وقد أكد هذا الرأى (Neill) الذى كان قنصلا لانجلترا فى موزمبيق ، وقدم للجمعية الجغرافية الملكية بلندن بحثاً أشار فيه إلى علاقات الفينيقيين وغرب (سبأ) بشرق أفريقيا .(٢)

وذهب إلى نفس الرأى (Wilmot) الذى يؤكد هذه العلاقة بين أهل سبأ وهذه البلاد ، ويذكر إنه من المحتمل جداً أن يكون أهل سبأ قد أبحروا من اليمن السعيد إلى ساحل (سوفالا) وتوغلوا حتى منطقة المناجم وأسسوا مستعمرة هناك حيث عملوا لاستخراج الذهب . ولعلهم هم الذين أسسوا المعابد فى هذه البلاد للقيام بعباداتهم .

ويورد (Wilmot) بعض الأدلة على رأيه هذا منها(٣) :

١ — أن النشاط التجارى الذى قام به الفينيقيون الذين خرجوا من شبه جزيرة العرب إلى المحيط الهندى — حقيقة معروفة والأبحاث التى أجريت على آثار زمبابوى ترجح أنها ترجع زمنياً إلى هذه الفترة من نشاط الفينيقيين التجارى .

٢ — المعابد التى عثر على بقاياها فى زمبابوى تدل على تشابه كبير بين العبادات التى كان يمارسها سكان شبه جزيرة العرب ، وسكان هذه المناطق فى أفريقيا ، بل وعبادات الفينيقيين الذين انتشروا فى البحر المتوسط والسواحل المطلة عليه .

٣ — ثبت أن بناة زمبابوى كانوا عبدة للطبيعة على شاكلة الفينيقيين فى الوقت الذى كانت فيه عبادة الأصنام الحجريه هى الشائعة بين الشعوب الأخرى والتشابه بين معتقدات وطقوس الفينيقيين ،وتلك التى تتضح من آثار زمبابوى ، ومعتقدات سكان شبه جزيرة العرب فى ذلك الوقت ظاهره ملفته للنظر .

---

(١) Hall and Neal : Ancint Ruins of Rhodesea (London, 1902), P. 23.

(٢) Neill, H.O. : Phoenician Enterprise — G.R.S., (May, 1885).

(٣) Wilmot : In Monomotapa, P,P. 36, 37, 48, 73 and 77.

٤ ــ إن آثار زمبابوى ، والتماثيل من الحجر الصابونى (Soapstones) تذكرنا لأول وهله بالمعبد الفينيقى المسمى (Emesus) فى سواحل الشام .

٥ ــ كذلك تماثيل الطيور فى زمبابوى ، والوصف الذى يورده لها (Bent) وصور الرسام (Swan) شبيهة إلى حد ملفت للنظر بما نراه فى الآثار الفينيقية ويشير على وجه الخصوص إلى القمم المخروطية (Cones) التى تشبه النمط الأغريقى فى المعابد(١) .

٦ ــ التاريخ يتحدث عن رحلات الفينيقيين سواء فى البحر الأحمر أو حول القارة الأفريقية صوب شرق أفريقيا .

٧ ــ البرتغاليون عندما زاروا هذه المناطق فى القرن الخامس عشر أشاروا إلى أن مشاهداتهم تؤيد فكرة هذا الأثر الفينيقى .

وقد أدى هذا الربط بين غرب سبأ ومناطق التعدين فى شرق أفريقيا ــ إلى الربط أيضاً بين أرض أوفير ــ التى ذكرت فى الكتب السماوية ــ والتى كانت مصدر الذهب الذى أهدته ملكة سبأ للملك سليمان ، والذى كان من الكثرة حتى أن الملك صنع التروس ، وكرسى العرش ، بل وجميع أوانى الشرب فى القصر منه .

وقد تعددت الإشارات إلى ذلك منذ بدأت الأضواء تسلط على آثار زمبابوى(٢) فأشار إلى هذه الرابطة (Thomas Holdich) فى بحثه الذى أشرنا إليه والذى نشرته له الجمعية الجغرافية الملكية ــ فقد تعرض فيه للعلاقات بين أوفير ومناطق التعدين فى شرق أفريقيا وما يدور حولها من قصص(٣) .

---

(١) قام Bent and Swan برحلة إلى أرض الماشونا سنة (١٨٩١) ، وقد عمل الفنان (سوان) عدة رسوم لآثار زمبابوى نشرتها الجمعية الجغرافية الملكية فى (١٨٩٢) ــ وقد قام بزيارات أخرى لأرض الماشونا فى (١٨٩٣) ، (١٨٩٤) وقاده بحثه وراء الحقيقة لزيارة ميادين أخرى للتعدين للدراسة المقارنة ــ فى استراليا وتسمانيا (١٨٩٦) ، وسيام (١٨٩٨) وتوفى فى كولالامبور إثر عملية جراحية

أنظر ترجمة حياته Biography فى G.R.S. Journal (May, 1904)

(٢) أشار إلى أرض أوفير ــ سفر الملوك ص ٩ : ٢٦ ــ ٢٨ ، ص ١٠ : ١٠ ، ١١

(٣) G.R.S. Journal, April 1899.

كما رجح هذا الرأى (Hall & Neal) وذكرا إننا نستنتج من الكتب السماوية أن أوفير هذه إما أن تكون فى الهند ، أو فى جنوب شرق أفريقيا – فالمرجح أنها فى البلاد التى يطلق عليها روديسيا حيث أنها هى التى اشتهرت بوفرة معدن الذهب فيها كما أن الآثار التى عثر عليها فى هذه البلاد تدل على أن صهر الذهب وإعداده للتصدير كان منتشراً ويزاول على نطاق واسع كما تدل على ذلك الآثار التى عثر عليها – فكل الأدلة ترجح أن هذه البلاد هى (أوفير) المشار إليها(١) .

وقد قام (Hays Hummond) مهندس التعدين فى عام (١٨٩٤) بأبحاث خرج منها بأن كميات كبيرة من الذهب فعلاً قد سحبت من مناطق المناجم فى روديسيا ويرجح أن استغلال هذه المناجم على نطاق واسع كان فى الفترة بين القرن السابع والقرن الثانى قبل الميلاد وهى التى تقابل الأحداث التى ذكرها التوراه عن أوفير .

وقد أدى الربط بين أوفيرا ومناطق شرق أفريقية هذه – إلى أن اتجه عدد من الباحثين إلى دراسة العلاقة بين مناطق تعدين الذهب ، والمناطق التى عثر فيها على الآثار فى هذه البلاد – وخرج هؤلاء باقتناع بأن منطقة (حزام الذهب) هى إلى حد كبير نفس منطقة الآثار ، وشغل بعض الكتاب أنفسهم بمحاولة تحديد مسار عربات نقل الذهب فى طريقها صوب ميناء (سوفالا) أو غيره من موانئ التصدير . ولعل أوفى بحث فى هذا المجال هو الذى قام به الكولونيل بادين بول (Colonel Baden Powell) الذى حدد طريقاً منحوتاً فى الصخر تظله الأشجار من الجانبين كمسار لهذه العربات التى يعتقد أنها كانت تجرها الثيران ، ويمتد هذا الطريق بين مرتفعات (Matoppes) ، وقد أطلق على هذا الطريق إسم (King Soloman's Road) وإن كان يعتقد وجود طريق آخر للشمال يمتد من (هارتلى) ويسير مع خط السكة الحديد الحالية حتى الساحل .

---

(١) Hall and Neal : Op. Cit., P. 25.

(٢) Ibid P.P. 51 & 52.

ملاحظة : أشار المسعودى (على بن الحسن بن على أبو الحسن ٣٤٦ هـ –٩٥٦م : مروج الذهب ومعادن الجوهر (باريس ١٨٦٠ – ١٨٧٦) إلى أن العرب كانوا يترددون على شرق أفريقيا للحصول

وقد حاول بعض الكتاب أن يقوم بعملية حسابية تقديرية لكميات الذهب التى سحبت من هذه البلاد — ووصل أغلب هؤلاء إلى أرقام كبيرة خياليه . ويكفى أن نشير فى هذا المجال إلى بحث ا (Telford Edwards) الذى حلل فيه نشاط العرب فى هذه البلاد ، فذكر أن العرب جاءوا إلى هذه المناطق ليس للاستعمار لكن للتجارة ، وأن الحصون التى بنوها ، والحوائط الضخمة كان الهدف منها حماية هذه الثروة حتى يتم تصديرها ويرجح أن السبأيين ظلوا قروناً فى هذه البلاد يعملون ، ودلل على ذلك باتساع نطاق الآثار وبنائهم المعابد لآلهتهم مما يوحى بالإستقرار الطويل ، وذكر أنه لو وضعنا فى الاعتبار المساحات الواسعة فى روديسيا التى — كما يبدو — كانت ميدان نشاطهم — يمكن أن نجزم بأن ما يقدر اليوم بملايين الجنيهات الإسترلينية — من الذهب قد استخرج من هذه الجهات . . . ويرجح أن عشرات الآلاف من العبيد كانوا يشتغلون فى هذا العمل — دون أجر لصالح سادتهم — ويذهب إلى أن هؤلاء السبأيين كانوا يسدون حاجة فينيقيا وروما ومصر وباقى العالم المعروف ، ونشير إلى أن هذا يفسر لنا الكميات الضخمة من الذهب التى عثر عليها فى آثار مصر القديمة(١).

على أننا لا نستطيع قبول هذا الرأى كله على علاته — ففيما يختص بمصر مثلا من المعروف أنها كانت تحصل على حاجتها من الذهب من بلاد (النوبه) التى ارتبطت بها من أقدم العصور(٢) .

وقد قيل « إن الذهب فى مصر مثل الرمال على ساحل البحر »(٣) .

=على الذهب والأحجار الكريمة من الأهالى ، وقد أشار عند حديثه عن سكان (سوفالا) إلى أنهم لا يعرفون الخيول . ، كما أشار الادريسى (محمد بن عبد الله بن أدريس) إلى (سوفالا) باعتبارها مدينة الذهب حيث يوجد فيها بكميات كبيرة .

(١) Edwards, Telford : Gold Production in Matabeleland
(Bulawayo Chronicle, 20 June 1891).

(٢) للدراسة التفصيلية لعلاقة مصر ببلاد النوبة أنظر :
سليم حسن : مصر القديمة جـ ١ ص ١٤١ وكذلك
Budge : The Egyptian Sudan, Vol. I, P. 5—34.

(٣) Mac A. Michael : A History of the Arabs in the Sudan 1, P. 21.

ويرى بعض المؤرخين – ومنهم برستيد أن كلمة نوبه مرتبطه بكلمة (Nabu) أى ذهب .

وقد كانت بلاد النوبه السفلى (الواوات بالذات)ترسل لمصر جزية سنوية من الذهب،وقد قيل إن الوارد لمصر من ذهب بلاد النوبه فى السنة الحادية والأربعين من حكم تحوتمس الثالث – مثلا بلغ ثمانمائة رطل ذهباً(١) .

هذا بالإضافة إلى مناجم الذهب فى الصحراء الشرقية والتى استغلها المصريون القدماء وأقاموا الحصون عند مدخل (وادى العلاقى) وفى أماكن متعددة أخرى فى الطريق المؤدى إليها .

على كل هذا لا يتعارض مع قبول ما قيل عن ضخامة ما كان يستخرج من ذهب من هذه الجهات للتصدير لجهات أخرى من العالم .

على أن إدواردز (Edwards) فى بحثه الذى أشرنا إليه سابقاً عن استغلال الذهب فى زمبابوى فى هذه العصور القديمة يصل إلى نتائج هامة نجملها فيما يلى :

١ – أن استغلال الذهب فى مناجم زمبابوى بدأ فى وقت مبكر وامتد عبر عصور مختلفة .

٢ – أن القدماء الذين كانوا يقومون بعملية التعدين هذه كانوا يتخيرون أفضل الأنواع التى تحتاج إلى جهد معقول فى استغلالها بينما يتركون العروق الرديئة التى تقل فيها نسبة المعدن النفيس وتحتاج لجهود وتكاليف كثيرة .

٣ – أن قوة بشرية ضخمة خصصت للعمل فى هذا المجال – ولهذا فهو يرجح أن العبيد كانوا يعملون فيها دون أجر أو مكافأة – لكن لصالح سادتهم (٢) .

هذا ونشير إلى أن (Edwards) قد عاد مرة أخرى لزيارة منطقة الماشونا بعد ذلك بسبع سنوات تقريباً حيث قام بابحاث جيولوجية فى المنطقة الممتده من

---

(١) Emery, Walter : Nubian Treasure, P. 23.
وكذلك برستيد : تاريخ مصر من أقدم العصور إلى الفتح الفارسى (ترجمة د. حسن كمال)ص ٨٨ وما بعدها .

(٢) Edwards, Telford : Op. Cit.

اينونجا (Inyonga) إلى مناجم الذهب فى المنطقةالمعروفةبقيصر وبليلم (Kaiser Wilhelm) . وأكد بعد دراسته الجيلوجية هذه ما ذكره سابقاً عن غنى المنطقة فى الذهب وضخامة الكميات التى سحبت على مر العصور(١) .

على أن التاريخ يذكر أن المدن الفينيقية فى صور و صيدا كانت فعلا غنية بالذهب ، وكانت تمد أسواق العالم بحاجتها منه . وقد أكتشفت البعثات الأثرية المختلفة التى كانت تعمل لحساب (شركة جنوب أفريقيا البريطانيه) كميات كبيرة من الذهب على شكل حلقات أو خيوط أو أسلاك مما يستخدم فى تزيين ونسج الأقمشة بالإضافةإلى القطع المطعمة بالذهب من الأثاث الخشبى أو الأدوات كالأطباق ، والمسامير الذهبية الصغيرة التى كانت تستخدم لتثبيت رقائق الذهب فى الأثاث(٢) .

وهكذا تكشف هذه الآثار عن صفحة هامة فى العلاقات العربية الافريقية منذ أقدم العصور ، ولا شك أن هذه الصفحة تخدمنا أيضاً فى فهم حقيقة الوضع بعد ذلك فى العصور الأكثر تقدماً ــ حين أشار الرحالة إلى أن المنطقة تسودها نظم وتقاليد هى نوع من أشياء أفريقية أصيلة بالإضافة إلى أشياء عربية . ومن مظاهر هذا الاتصال أيضاً شيوع لغة أفريقية عربية تمثلت فيما بعد فى اللغة السواحيليه وفى الحضارة التى تحدث عنها البرتغاليون فى العصور المتأخرة ــ فى القرن الخامس عشر بعد أن نجح فاسكوداجاما (Vasco Dagama) فى عبور رأس الرجاء الصالح والوصول إلى موانى شرق أفريقيا التى ذكر أنه رأى الناس فيها يرتدون الملابس الحريرية الموشاه بالذهب ، كما شاهد المنازل العالية من عدة أدوار ، والقصور المفروشة بالسجاد ، والمؤثثه بالأثاث الفاخر ــوذكر نفس الملاحظة دوارتبربوسا (Duarte Barbosa) الذى زار مناجم المونوموتابا فى (١٥١٦) وذهل للثروة التى شاهدها ، ولما رآه من مظاهر الغنى والتحضر .

---

(١) Edwards, Telford : Wonders of Mashonaland (Rhodesean Herald, 20 Dec. 1898).

(٢) Hall and Neal : The Ancient Ruins of Rhodesia, PP. 90 & 91.

ويعلق (كوبلاند) على هذا بقوله « إننا يجب ألا نندهش لما يذكره هؤلاء ، الرحالة من مظاهر الحضارة التى نقلها العرب لشرق أفريقيا — فإن العرب كانوا حملة لواء الحضارة ، وقد كانت مدارس بغداد والقاهرة وتونس حتى القرن الثالث عشر الميلادى تفوق تلك التى فى اكسفورد أو التى فى أية مدينة مسيحية أخرى(١) .

وهذه الشهادة لها أهميتها بلا شك خاصة أنها صادرة من أجنبى استعمارى .

وهكذا تبدو أهمية دراسة آثار زمبابوى فى تتبع العلاقات العربية الافريقية تلك العلاقات التى امتدت عبر عصور التاريخ حتى يومنا هذا .

وبعد أن أدركنا أهمية هذه الآثار يحسن أن نلقى نظرة على النتائج التى أسفرت عنها أعمال البعثات المختلفة والدراسات التى عملت على هذه الآثار — خاصة أن هذه الدراسة أيضاً قد تلقى أضواء أكثر على صحة الرأى القائل بوضوح التأثيرات العربية فى هذه الآثار . ولعل الدراسات الأثرية التى بدأت تلقى اهتماماً فى شبه الجزيرة العربية للكشف عن الحضارات التى قامت فى هذه البلاد ومظاهرها — تسهم هى الأخرى فى توضيح العلاقات الحضارية بين المنطقتين .

النتائج التى أسفرت عنها جهود البعثات الأثرية المختلفة فى زمبابوى :

لقد أجهد العلماء والكتاب أنفسهم — كما ذكرنا — فى البحث عن أصل هذه الآثار ومصدرها وإلى أى الشعوب تنتمى ،بل وفى محاولة وراء دلالة اسم زمبابوى وغيره من الأسماء التى ارتبطت بهذه المنطقة وآثارها ، حتى أنهارهامثل نهر سابى. فقد ثار تساؤل هل له علاقة بسبأ أم لا ؟ . . . . وتشعب البحث لدراسات جنسية وأنثروبولوجية للسكان الحاليين لمعرفة مدى احتمالات ارتباطهم بهذه الآثار وبين أسهامهم فيها .

ولحسن الحظ أن جزءاً كبيراً من الجهد تركز على التنقيب والبحث ودراسة ما يسفر عنه التنقيب من آثار ، ومحاولة تسجيلها سواء عن طريق الوصف أو التصوير أو الرسم .

---

(١) Coupland : OP. Cit,. p.39.

وأهم المناطق التى شملها البحث والتنقيب :

١ ــ منطقة زمبابوى نفسها

وأهم الآثار التى وجدت بها : المعبد البيضاوى (The Elliptical Temple) ، الأكروبول (Acropolis) ، وآثار وادى الخرائب (The Valley of Ruins) ، والتماثيل المختلفة والمبانى المعمارية والأدوات التى عثر عليها بين آثار زمبابوى .

٢ ــ آثار منطقة خامى (Khami)

وهى المنطقة التى تطلق عليها بعض المراجع الانجليزية اسم منطقة هيدبارك (Hyde Park) ، وهى تقع غربى مدينة بولاوايو بمقدار ١٢ ميلا ، وهى كما يعتقد كانت مركزاً هاماً للتعدين .

٣ ــ آثار منطقة بلنجوى (Bel ngwe)

وهى تقع فى جنوب مقاطعة فكتوريا .

٤ ــ آثار دهلودهلو (Dhlo Dhlo)

وهى توجد شرق بولا إبو فى طريق (بولا ابو ــ جويليو)

٥ ــ آثار إنيانجا (Inyanga) أو مونت فيرو (Mount Furo)

وهى تتمثل فى آثار أرض الماشونا (شمالى أوميتالى Umtali) بما يقدر بـ ٨٠ ميلاً ــ وتقسم عادة إلى مجموعتين :

(أ) مصاطب التلال Hill Terraces

(ب) آثار الوديان فى وادى سابى وفروعه .

وقد شارك فى أعمال الحفر والتنقيب عدد كبير من الأثريين والرحاله والمغامرين والمهندسين الذين كانوا يعملون لحساب شركات التعدين أو غيرها ــ نذكر منهم :

١ ــ ويلى ، هارى بوسيت (Willie & Harry Posselt) وقد حظيت منطقة زمبابوى فى ١٨٨٩ بنشاطهما ، وكان لهما فضل اكتشاف عدد كبير من تماثيل الحجر الصابونى (Soapstones)

٢ ــ فيلبس (G. Philips) وقد زار منطقة زمبابوى وسجل ملاحظاته عنها فى نوفمبر سنة ١٨٩٠ .

٣ ــ تيودورينت ، سوان (Theodore Bent and Swan) وقد قاماً بنشاط ملموس فى شهرى يونيو ، ويوليو (١٨٩١) فى خرائب زمبابوى ــ وذلك بمساعدة الجمعية الجغرافية الملكية البريطانية .

٤ ــ جون ويلجبي Sir John Willoughby ، وقد اشتهر بسبب اكتشافاته فى عام (١٨٩٢) فى منطقة زمبابوى .

٥ ــ ادوارد مولير Ed. Moler ، وقد كشف النقاب عن عدة آثار على بعد عشرة أميال من زمبابوى .

٦ ــ توماس بينس (Thomas Baines) ، وقد قام بعمل رسوم للأكروبول ، والمعبد البيضاوى ، والقلعة المخروطية وغيرها من آثار زمبابوى .

٧ ــ د. شيلستر (Dr. Schilchter) الألمانى ــ زار منطقة زمبابوى فى (١٨٩٢) ونشر بحثاً عن ملاحظاته فى نفس العام فى مجلد الجمعية الملكيةالجغرافية.

٨ ــ نيل (G. Neal) ــ وقد قام بأبحاثه فى منطقة زمبابوى وكان نشاطه بالذات فى منطقة فكتوريا شمال غرب زمبابوى .

٩ ــ نيل وجونسون Neal & Johnson قاما ولمدة خمس سنوات كاملة بأبحاث فى أماكن متعددت من روديسيا ، وقد أسفرت أبحاثهما عن الكشف عن عديد من الآثار منها آلات نحاسية وأوانى فخارية وغير ذلك .

١٠ ــ روجرز (H. Rogrs) وتركزت جهوده بالذات فى منطقة دهلو دهلو (Dhlo Dhlo).

١١ ــ فرانكلين هويت Franklin White قدم وصفاً مفصلا مع رسوم لآثار منطقة دهلو دهلو Dhlo Dhlo

١٢ ــ د. كارل بيترز (Dr. Karl Peters) ــ قضى فترة طويلة بين أطلال (Mount Ruso) ونشر نتائج أبحاثه فى أبريل (١٨٩٩) ،

وقد أثار ضجة بعثوره على تمثال للاله أوزوريس (Osiris) بين الاطلال. مما أثار مسألة الصلة بين مصر وآثار هذه المناطق .

١٣ — هول ، ونيل (Hall & Neal) ويعتبر كتابهما الذى نشر فى عام (١٩٠٢) عن البقايا الأثرية القديمة فى روديسيا ،

(The Ancient Ruins of Rhodesea–Monomotapa)

من أفضل ما كتب فى هذا الموضوع .

١٤ — هول (Hall) — سجل نتائج جهوده طوال عامى ١٩٠٢ ، ١٩٠٤ فى كتابه عن زمبابوى العظيمة . وقد صدر فى ١٩٠٩ وهو الكتاب الذى ذكرنا أنه أهداه لذكرى بنت (T. Bent) مكتشف زمبابوى العظيمة .

هذه بعض الجهود التى بذلت نذكرها على سبيل المثال لا الحصر على أننا سنشير إليها وإلى غيرها من البحوث أثناء حديثنا عن كل أثر على حده بالإضافة إلى الأبحاث الحديثة التى سنستعرض نتائجها .

ولنستعرض نتائج وجهود هذه البعثات .

أولا : آثار منطقة زمبابوى

تمتد الآثار فى مساحة واسعة — تشمل هذه المساحة تل زمبابوى الذى يصل ارتفاعه إلى حوالى ٣٥٠ قدماً فوق سطح البحر ، حيث يوجد (الاكروبول ثم وادى سابى بطول ١٥ ميلا وعرض عشرة أميال ، وعلى بعد نصف ميل تقريبا جنوبى تل زمبابوى يوجد المعبد (البيضاوى الشكل Elleptical Temple) الذى يعتبر أقدم آثار هذه المنطقة .

والمعتقد أن زمبابوى كانت المركز الحضارى والادارى لهذه البلاد فى العصور الغابرة كما يعتقد أن معبدها الكبير كان بمثابة المعبد الرئيسى ، ويعتبر الأثريون هذه الآثار فى (زمبابوى الأساس الذى يحدد الخطوط المعمارية لكل الآثار فى كل أنحاء روديسيا .

وأهم الآثار التى عثر عليها فى منطقة زمبابوى :

(أ) المعبد البيضاوى الشكل (Elleptical Temple) :

المعبد بيضاوى الشكل ، محاط بعدة حوائط من أحجار الجرانيت المنتظمة الشكل بحجم قوالب الطوب العادى ، وارتفاع الحوائط الرئيسية يصل إلى ٣٥ قدماً ، بينما طولها يبلغ ٢٨ قدماً ، وفى داخل المعبد ممرات غير منتظمة . وهذا الشكل البيضارى للمعبد أثار انتباه كثيرين من الأثريين فقد ربطوا بين هذا المعبد ومعبد مارب الذى اشتهر هو الآخر بشكله البيضاوى .

وإن كان معبد زمبابوى يصل فى مساحته إلى٨٣٣ قدماً بينما لم يتجاوز معبد مارب(٣٠٠ قدما).وللمعبد ثلاثة مداخل(١) :

(أ) المدخل الرئيسى (الشمالى) فى الحائط الشمالى الشرقى للمعبد،وبجوار هذا المدخل سلالم مغطاة بالجرانيت والأسمنت(٢) ، والحوائط على جانبى هذا مقامة بعناية ودقة .

(ب) المدخل الشمالى الغربى — فى الحائط الشمالى الغربى للمعبد — ويبدو أن هذا المدخل لعب دوراً رئيسياً فى الماضى ، والدليل على أهميته أن كل الممرات تقريباً تؤدى إلى هذا المدخل .

(ج) المدخل الغربى — وله الأهمية الثانية بعد المدخل الشمالى ، وهو الذى يستخدمه زوار المعبد اليوم . ولهذا المدخل (كتفين) من المبانى ولا تزال متن الأعمدة — قائمة عند مداخل المعبد ، بينما سقط البعض الآخر.والمدخل الرئيسى للمعبد يؤدى إلى ممر طويل ، لكنه يضيق فى بعض جنباته بحيث لا يسمح لشخصين للسير فى نفس الوقت — أما الحوائط الداخلية فيصل ارتفاعها إلى ٣٠ قدماً .

وبالداخل (المكان المقدس) تحيط به حوائط سميكة من كل جانب ، بينما توجد منطقة مرصوفة بكتل سميكة من الأسمنت ، كما أن أرضية المدخل السرى مرصوفة هى الأخرى بالأسمنت وهى التى يطلق عليها اسم (Sacred Enclosure)

---

(١) أنظر الرسم المرفق مع البحث وهو من وضع فرانكلين هريت (Franklin White) فى بولا ايو (١٩٠٣) وقد أشار إلى أنه وضع فى الإعتبار وصف (Bent) وأبحاثه كما ورد فى كتابه الذى نشر (١٨٩٢) "The Ruined Cities of Mashonaland".

(٢) وبالطبع لم يكن الأسمنت بشكله الحالى معروفا فى ذلك الوقت لكن استخدمت مادة تقوم بعمل الأسمنت الحالى وسنوضح ذلك فيما بعد بتفصيل أكثر .

وبالمعبد برج مخروطى كان ارتفاعه حوالى ٣٥ قدماً ، ومحيط قاعدته ١٧,١٧ قدماً وكانت القبة المخروطية (Conical Tower) مغطاة بطبقة خارجية وعلى مسافة قصيرة شمال شرقى هذا البرج برج آخر أصغر — ولا شك فى أن الصورة التى رسمها له فى عام ١٨٧١ (Karl Mauch) وتلك التى رسمها فى ١٨٩١ Bent تكتسب أهمية خاصة لما أصابه بعد ذلك من دمار(١) .

وقد أشار (Mauch) إلى سقوط الطبقة الهشة التى كانت تحمل — كما ذكر زخرفه بديعة تغطى القبة الرئيسية للبرج — أثناء محاولة اختبارها — والسلم المؤدى إلى القبة يرتفع لمسافة ٣٥ قدماً تقريبا(٢) .

وبالمعبد عدد من المسلات لا زال بعضها قائما فى مكانه بينما سقط البعض الآخر ويحيط به سبع سياجات .

(ب) الأكروبول (The Acropolis)

يقع معبد الأكروبول على تلال زمبابوى ، ويشرف على الوادى من ارتفاع ساحق. والحقيقة إن الطبيعة جعلت من هذا المكان بقعة ساحرة . . ويستنتج من موقعه وطريقة بنائه على أنه بنى لغرض دفاعى(٣) .

ويعتقد بعض الآثريين الذين درسوا هذه الآثار الواقعة على التل أنها ترجع إلى زمن بعيد ، وتمثل درجة كبيرة من التقدم الهندسى .

ويعبر هول (Hall) — الذى تعتبر كتاباته من أحسن ما كتب عن زمبابوى وأثارها — عن مشاعره عند زيارته لهذه المنطقة فيقول :

« إذا كان الانسان يحس عند زيارته للمعبد البيضاوى الشكل بشعور الرهبة — فانه يشعر وهو يزور الأكروبول بشعور الزهو والفخر — يتملكه هذا الشعور

---

(١) أنظر رسم فرانكلين هوايت Franklin White

(٢) موخ Mauch — رحالة ألمانى زار زمبابوى فى (١٨٧١) ووصف هذه الآثار ، ويتميز رصفه بالدقة — لكن إشارته إلى أصل هذه الآثار مبنية على الاستنتاج والتخمين .

(٣) Henaman, Howard : A History of Rhodesia Complied From Official Sources (Edinburg, 1900), P. 6.

مع كل خطوة فى ممراته اللابرنتية — على أن الحوائط الضخمة للأكروبول والمسلات الشامخة فى السماء تجعلنا نندهش من ضخامة كميات الأحجار الجرانيتية التى نقلت ورفعت إلى هذا المكان على ارتفاع مئات الأقدام لتشييد هذه الأبنية الضخمة(١) .

ويستنتج الذين درسوا آثار هذه المنطقة — من ضخامتها — أنه لا بد كان تحت تصرف الذين شيدوها عدد ضخم من العبيد استطاعوا تشغيلهم فى هذا العمل .

ولعل السؤال الأول الذى يتبادر لذهن الزائر لهذا المكان هو — أين يوجد الممر الأصلى الذى كان يستخدم قديما للصعود ، إذ لا شك فى أن الممر المستخدم اليوم ليس هو الممر القديم .

على أن هناك طريقين يؤديان إلى قمة الأكروبول — أحدهما فى الجانب الجنوبى للتل ، والآخر فى الأمام فى مواجهة الشمال الغربى — فلعل أحدهما هو الطريق القديم الرئيسى .

هذا وقد أطلق بعض الكتاب على هذه المجموعة الأثرية التى تتكون من (الأكروبول) والمعابد الملحقة به (المعبد الغربى ، والمعبد الشرقى) — اسم اللابرنت فشكلها ، والممرات الداخلية المتعرجة توحى بهذا التشبيه (٢) .

وتؤدى إلى المعبد سلالم متدرجة ، بينما يشتمل على عدة أبنية محاطة بحوائط سميكة يبلغ ارتفاعها فى بعض الجهات ٣٠ قدماً ، وعلى هذه الحوائط زخارف ، وهناك عدد من المسلات يرتفع فى السماء ، ويعتقد إنها كانت مرتبطة بمراقبة النجوم أو الشمس الساقطة عليها .

وقد قام جون ويلجبى (John Willoughby) بدراسة دقيقة للآثار التى عثر عليها فى هذه المنطقة — وتميزت دراسته بوصفه الدقيق للصخور وبالقياسات التى قام بها للمسلات وغيرها وقد ذكر أن إحدى المسلات يبلغ

---

(١) Hall,: Great Zimbabwe (An Account of two years examination in 1902 – 1904) on Behalf of the Government of Rhodesia (London 1909).

(٢) أنظر بحث هول (Hall) الخاص عن الأكروبول اللى نشرته حكومة سالسبورى بالانجليزية (١٩٠٣) ص ٢٧٧ .

ارتفاعها ١٤ قدماً ، وفى اعتقاده أن ظل هذه المسلات يحدد بدقة الإنقلاب الشمس. الصيفى أو الشتوى ، بينما تحدد غيرها بداية الخريف أو الربيع .

المعبد الغربى :

يقع فى أقصى الغرب ولذلك أطلقت عليه هذه التسمية ، وهو على شكل ربع دائرة(١) .

ويتميز بضخامة حوائطه إذيبلغ عرضها ٢٥ قدماً وتوجد فى هذا المعبد بقايا مسلات جرانيتية .

وإذا اتجهنا من هذا المعبد تجاه الجنوب الشرقى نجد الممر المغطى (Covered Passge) وهو مغطى بصخور جرانيتية وطبقة من الأسمنت ، والكهف — وهو عبارة عن منخفض يظهر تحت الممرين المتوازين (Parallel passages) ثم الحوائط الداخلية وعددها خمسة .

أما المعبد الشرقى :

فهو فى أقصى الشرق من تلال زمبابوى ، والحائط الرئيسى لهذا المعبد مبنى على منحنى واسع جهته الشرق ، وهذا المعبد مبنى بعناية أكثر من المعبد الغربى ، والأحجار الجرانيتيه التى استخدمت فى بناء حوائطه منتقاة بعناية أكثر ومثبتة مع بعضها بعناية(٢) .

وقد ذكر بنت (Bent) — كما أشار غيره من الكتاب — إلى أن المعبد الشرقى مبنى فى وضع يتيح للشمس أن تدخله فى وقت معين فقط من النهار ، وذلك من نقطة معينة، ويلاحظ شعاع النور ينبعث للمعبد من هذه النقطة وقت الظهيرة فقط ، وقد عثر بنت فى هذه المنطقة بالذات على عدة تماثيل من الحجر الصابونى بالاضافة إلى عدة أوانى نحاسية — وقد سجل (بنت) عدة بيانات عن مواعيد دخول

---

(١) أنظر الرسم المرفق .

(٢) Hall & Neal: The Ancient Ruins of Rhodesia (London 1902), P. 204.

الشمس وسقوط أشعتها فى هذا المعبد واستنتج أن المعبد نفسه كان يستخدم لملاحظة الانقلاب الشمس الصيفى أو الشتوى ـــ وقد لاحظ بنت :(١)

١ ـــ أنه لا يوجد معبد آخر فى زمبابوى غير هذا المعبد يتميز بمثل هذه الزخارف ، والمسلات وتماثيل الحجر الصابونى ، والشكل اللابرنتى المتمثل فى ممراته وحوائطه الداخلية .

٢ ـــ وجود زخارف على الواجهات خاصة الواجهة الشرقية للحائط الرئيسى للمعبد .

(جـ) وادى الخرائب The Valley of Ruins :

فى المنطقة الواقعة بين التلال التى يرتفع عليها شامخا الأكروبول وغيره من آثار زمبابوى على هذه التلال ، وبين المعبد البيضاوى الشكل ـ يمتد واد طويل يتجه من الشمال الغربى على بعد ما يقرب من ٣٠٠ ياردة من سفح تلال الأكروبول إلى الجنوب الشرقى . وكان هذا الوادى مغطى بغابات كثيفة ، ساعدت لسنوات عدة على إخفاء مجموعة الآثار المتناثرة بين ثناياها ، ويحد هذا الوادى من الشمال الطريق الذى عرف باسم (Victoria Road) . وقد كشفت البعثات المتتالية التى وفدت على هذه المنطقة عن عدد كبير من الآثار والبقايا ، ولذا اصطلح على اطلاق لفظ (وادى الخرائب ـ أو الآثار على هذا الوادى) . لكن البعض ينظم الآثار فى هذه المنطقة فى ثلاث مجموعات (٢) :

١ ـــ مجموعة تضم الآثار التى كشف عنها كل من (Posselt) و(Philips)، (Rendors)، (Mauch)وهى تقع إلى الشمال الشرقى من المعبد البيضاوى الشكل .

٢ ـــ المجموعة العلوية التى تشمل كل الخرائب التى تقع إلى أقصى الشمال من حافة المنحدر .

---

(١) Bent, Theodore & Swan : The Ruined Cities of Mashonaland (Longmans esscen & Co. London 1891), P. 170 & 171.

(٢) أنظر الرسم المرفق مع البحث بعنوان (General Plan of Zimbabwe Ruins).

٣ ــ مجموعة الآثار الواقعة إلى أقصى الشرق والجنوب الشرقى .

ومهما تكن من فروق أو مميزات يتميز بها أى أثر من هذه الآثار ، فاننا فى الحقيقة لم نستطع أن نميز خطوطاً واضحة تجعلنا نطمئن إلى تقسيم هذه الآثار إلى مجموعات ترجع لكل حضارة معينة .

ومع ذلك فإن هذه المجموعات الأثرية تشترك فى مميزات نجملهافيما يلى (١):

١ ــ تدل كلها على دقة فى البناء ، وتقدم فى فن المعمار ، كما أن المواد المستخدمة كانت تختار بعناية .

٢ ــ ظاهرةواضحة أن الطابع المستدير يغلب على المبانى والحوائط بحيثلا تكاد توجد مبانى ذات زوايا .

٣ ــ وجدت بين ثنايا هذه الآثار كميات كبيرة من الفخار ، الكوارتز لعلها من بقايا العمل فى هذه المبانى .

٤ ــ بعض هذه المبانى ــ على الأقل ــ كانت كما يظهر بوضوح من اختيار مواقعها ومن طريقة بنائها ــ أنها كانت لأغراض دفاعية .

٥ ــ وجدت على أطراف الوادى بقايا أكواخ من الطين ، ولا شك أنها أكثر حداثة فى تاريخها من المبانى والآثار الحجرية المتناثرة بطول الوادى .

والمعتقد ــ بناء على ما كشفعنهالنقابمن آثار فى هذا الوادى أن أرضهذه المنطقة لا تزال تخبئ الكثير من الآثار التى تحتاج لجهود أخرى للكشف عنها .

والسؤال الذى لا يزل لم يجد إجابة قاطعة حتى الآن هو ــ هل توجد علاقة بين آثار هذا الوادى وبين منطقة الأكروبول ، والمعبد البيضاوى الشكل وبين النشاط فى هاتين المنطقتين ؟

وقد ترددت فى هذا الشأن عدة آراء كلها ينقصها الدليل القاطع لكن نجمل أكثرها قبولا هنا :

---

(١) Hall : Great Zimbabwe, P. 364.

(١) أن الوادى كان يمثل المستعمرة السكنية للعمال والمشرفين على العمل فى المناطق الأثرية الأخرى — وقد أدى هذا الرأى إلى استنتاج أن بعض النشاط فى المناطق الأخرى كان يرتبط بالتعدين أى الذهب واعداده للتصدير .

(٢) إن هذه المنطقة تمثل المنطقة الزراعية التى كانت تمون العاملين بالمناطق الأخرى المرتفعة بحاجتهم اليومية من الغذاء .

(٣) يمثل الوادى منطقة سكنية عادية ، بينما المناطق المرتفعة تمثل مناطق النشاط الهامشى الذى لا يتصل بحياة الناس العادية اليومية المنتظمة كمناطق للدفن أو الرصد أو المراقبة .

ونلاحظ على آثار زمبابوى التى عثر عليها :

١ — يلفت النظر كثرة الممرات فى المعابد ، وشكلها اللابرنتى وكثرة التواءاتها فى الاكروبول بالذات ، وكل الممرات تقريباً ضيقة وطويلة ، وهى تستخدم كما يبدو للمرور من منطقة إلى أخرى بعضها عميق ، وهنالك ممرات متوازية ، ولا توجد أدلة على أنها كانت تغطى إلا فى حالات نادرة .

٢ — أسقف المعابد وغيرها من المبانى محملة على أعمدة مثبته فى الأرض وقد استخدم الأسمنت لتقوية قواعد هذه الأعمدة — وكذلك الحوائط .

٣ — يبدو أن الأسمنت كان يصنع من قطع من الحرانيت تطحن ، وتخلط بكميات من الجير ، وقد استخدم هذا الأسمنت لتغطية أوجه السلالم واستخدمت كميات كبيرة منه فى (الاكرويول) وفى (وادى الخرائب) ، وغطيت به بعض الممرات — ويبدو أن نسب المواد الداخلة فى تركيبه كانت تختلف حسب الأغراض التى ستستخدم فيها ، وكانت هناك أنواع منه تميزت باللون الأحمر ، وذلك نتيجة إضافة مادة أخرى أكسبته هذا اللون .

٤ — لم يعثر على كتابة غائرة محفورة على حوائط المعابد — وإذا وجدت فى وقت من الأوقات ، فلعلها أزيلت أو تهشمت بمضى الوقت .

٥ ــ وجدت فى الأكروبول بالذات ثقوب فى الصخور (كالمغارات) والغرض منها غير معروف بالضبط ــ وقد عثر فى بعضها على رؤوس للسهام أو قطع من الفخار ونماذج لتماثيل من الحجر الصابونى ــ والبعض يرجح أنها كانت مخازن للذهب المصنع أو لتراب الذهب .

٦ ــ عثر على عدد كبير من المسلات والأعمدة الحرانيتية فى المعبد البيضاوى ، والمعبدين الشرقى والغربى ، وفى الأكروبول ، وخرائب فيلب .

٧ ــ وجدت أعداد كبيرة من تماثيل الحجر الصابونى (Soapstone) فى المعبد البيضاوى ، وفى الاكروبول ، وفى وادى الخرائب ــ وهذه التماثيل تمثل طيوراً واقفة على أرجلها وتتجه غالباً لجهة الشرق ، ولعل ذلك يتصل بمعتقداتهم الدينية ــ ويبدو أن هذه التماثيل طرأ عليها تغييرات وتطورات مع الزمن من حيث حجمها واتقان صنعها وزخرفتها .

والبعض ربط بين هذه التماثيل ، وبين عبادة السبأيين فى شبه جزيرة العرب(١).

وأهم مجموعة من هذه الآثار هى التى وجدها (Bent)، والتى شارك (Swan) فى رسمها وتصويرها ، وتحتوى متاحف كيبتون ، وبولاايو وسولزبرى ، ولندن العديد منها(٢) .

وعلى كل فلعل دراسة أعمق وأوفى للبقايا والأدوات ، والأوانى التى عثر عليها فى هذه المنطقة تتيح فرصة أفضل للحكم على وضع السكان السابقين .

دراسة لبعض التماثيل والأدوات التى عثر عليها بين آثار زمبابوى(٣) .

١ ــ أوانى من الحجر الصابونى (Soapstone) :

وجدت أوانى مصنوعة من هذا الحجر الصابونى مختلفة الأحجام والشكل ،

---

(١) Bent & Swan : The Ruined Cities of Mashonaland (London 1891), PP. 181—187.

(٢) Hall & Neal: The Ancient Ruins of Rhodesea (London 1902), P. 122.

(٣) من الأبحاث الهامة فى هذا المجال البحث الذى قدمه (R.C. Dowie) فى ٣١ يوليو (١٩٠١) (Rhodesia Scientific Association—Bulawayo) ونشر فى نفس العام فى Bulawoy's Chronicle

وكانت معظمها تحتوى على زخارف ورسوم لحيوانات لها قرون وطيور — ولا ندرى الأغراض التى كانت تستخدم فيها هذه الأوانى(١) .

٢ — أدوات من الذهب :

وجد الذهب بكميات كبيرة هنا ، ويبدو إنه كان يستخرج من أماكنه الأصليه وينقل إلى هذه المناطق ليصنع ، ولعل عملية التصنيع كانت تتم تحت اشراف العرب ، وقد اشتهرت فى العصور الوسطى قبائل المكالنجا (Makalanga) بالمهارة فى تصنيع الذهب فصنعوا منه خيوطاً ذهبيه بل وجدت خيوط من الذهب الأصفر فى (الاكروبول) ويرجح أن هذه المهارة قد اكتسبوها عن طريق العرب ويعتقد أن بعض الأوانى التى وجدت كانت مخصصة لصهر الذهب .

٣ — الآلات والأوانى النحاسية :

وجد النحاس فى أشكال مختلفة ، فقد وجدت فؤوس ، ورؤوس سهام ، وقضبان نحاسية ، وغير ذلك من الأدوات النحاسية — وقد كان يخلط النحاس فى بعض الأحيان بالرصاص بكميات قليلة وعثر فى (خرائب) (Renders) على سلسلة نحاسية ، وقد عثر على بقايا أفران يعتقد أنها كانت مخصصة لإذابة وتعدين النحاس .

٤ — الآلات الحديدية :

وجدت أشياء والآلات وأسلحة كثيرة مصنوعة من الحديد ، وهى من أحجام وأشكال متباينة فمنها أسلحة مدببة الطرفين ، ومنها مثلا مثقاب حديدى له يد خشب حتى وسطه ، وبه ثقب يدخل فيه سلك حديدى يربط المثقاب باليد ، كما وجدت ملعقة من الحديد ، ورؤوس حراب حديدية ، ومسامير من الحديد ، ولفائف حديدية لعلها كانت لحفظ وحماية الأعمدة ، الخشبية ، كما وجدت فى الأكروبول وفى المعبد الغربى آلات حديدية مسننة كالشوك ، وبعضها مطعم بالذهب ، وجدت أجراس حديدية يقال أنها كانت تستعمل لتحية الضيوف والزعماء وكوسيلة للتحذير من عدو أو خطر مترقب(٢) .

---

(١) Hall : Great Zimbabwe (London 1909), P. 108.

(٢) Ibid P. 121.

٥ ــ الأدوات من البرنز :

وجدت بعض الآلات من البرنز ، ويبدو أن العرب كانوا يبادلون البرنز بالذهب وقد استخدم البرنز بالذات فى صنع أدوات للزينة للنساء وللرجال كالأسورة والأقراط ، والعقود ، هذا بالإضافة إلى خيوط مضفرة دقيقة الصنع(١) .

٦ ــ عقود الخرز :

صنعت حبات الخرز من النحاس ، والبرنز ، والفضه وعظام الحيوانات البحرية وبعضها ألوانها جميلة هذا بالإضافة إلى الخرز المستورد .

٧ ــ الأوانى الفخارية :

وجدت عدة أوانى فخارية ، ويغلب على الظن ــ كما يظهر ومن فحص الأوانى التى عثر عليها ــ إنها صنعت باليد وليست بالآلات ، وغالباً كانت عملية التجفيف تتم عن طريق الشمس، ويعتقد أن الأوانى التى عثر عليها ترجع لقبائل المكالنجا (Makalanga) .

٨ ــ أوانى وأدوات مستوردة :

وجدت بعض مصنوعات من الزجاج مثلا ، وكذلك من أحجار غريبة عن المنطقة كأدوات من أحجار الكوارتز أو الديلوريت ، ويرجح البعض أنه كانت هناك مراكز لفحص (الكوارتز) واختيار الصالح منه للأغراض المختلفة .

بعض التساؤلات والملاحظات التى تتصل بآثار زمبابوى :

كان طبيعياً أن تثير دراسة منطقة (زمبابوى) بما عثر عليه من بقايا عدة تساؤلات :

١ ــ فمثلا كان السؤال الهام الذى فرض نفسه هو من أين كان الأهالى يحصلون على الأحجار التى صنعوا منها تماثيلهم ؟

لقد كشفت الأبحاث أخيراً عن وجود ما يمكن أن نطلق عليه محجراً للحجر الصابونى وذلك على بعد ١٥ ميلا إلى الشمال الغربى من المنطقة الأثرية فى زمبابوى ــ

---

(١) Ibid., P. 124.

ومن المرجح أن هذا كان المصدر الذى أخذت منه كافة الأحجار التى أستخدمت فى صنع الآثار فى هذه المنطقة .

٢ ــ أثار الباحثون تساؤلا آخراً ــ عن أماكن أفران صهر الذهب ، طالما أن ، الكل يجمع على الربط بينها وبين أعمال التعدين ــ لكن لعل الرد على هذا التساؤل هو انه يبرز أن مثل هذه الأفران لم تكن تشيد فوق سطح الأرض ، لكنها كانت عبارة عن حفر غائرة فى الأرض ــ ويرجع هذا الرأى أن السيرجون ويللجوبى (Sir John Willowghby) قد عثر على ثلاث من هذه الحفر بجانب بعضها فى الأرض الواقعة بين المعبد البيضاوى ، والأكروبول ، كما عثر (Bent, Theodore) فى الصخور فى الاكروبول ــ على ما يرجح إنها كانت حفراً مخصصة لصهر الحديد(١) .

وبعض الذين أثاروا هذه المسائل أشاروا إلى شهرة قبائل الباروتسى (Parotsi) التى تعيش الآن شمال نهر الزمبيزى ومهارتها فى أعمال التعدين ، والمعروف أن هذه القبائل فى وقت من الأوقات كانت تسكن فى هذه المناطق فى زمبابوى ، وفى هذا إشارة إلى أنهم ربما كانوا هم الذين يعملون بالتعدين فى هذه المنطقة .

٣ ــ سؤال آخر ارتبط بعملية التعدين هذه ــ هو اين تقع مناجم الذهب من منطقة الآثار هذه ؟

يبعد أقرب هذه المناجم المعروفة عن منطقة زمبابوى الأثرية بما يقرب من ١٢ ميلا ــ والغريب أن بعض مناجم الذهب فى المناطق القريبة وجدت سليمة تقريباً لم تمس ، لكن لعل التعليل المعقول لهذه الظاهرة أن المنطقة المحيطة بها كانت صالحة للزراعة ، ولا شك فى أن الأعداد الكبيرة من السكان ومن العاملين فى هذه المناطق كانوا بحاجة لكميات كبيرة من القمح فترتب على ذلك أن استغلال المناجم لم يكن فى مقدمة الأعمال التى يقوم بها السكان هنا فان أعداداً غفيرة كانت تعمل بالزراعة ، ولا شك أن هذه كانت تعمل فى حمى قلاع زمبابوى ، وتعد اليوم هذه المنطقة فى مقدمة مناطق إنتاج القمح فى روديسيا .

---

(١) أنظر أماكن هذه الحفر (Rock holes) فى الرسم المرفق بالبحث .

٤ ــ وهذا يدعو لتساؤل آخر ــ عن مصادر المياه التى كانت تمد المنطقة بحاجة سكانها ، وحاجة الزراعة بها من المياه ــ ويبدو أن المياه كانت تصل للمنطقة من ينبوع للمياه بجوار المعبد ، كذلك هناك منبع للمياه إلى الشرق من هذه المنطقة .

هذا ويستفاد من الأقوال المتواترة والتى تتردد بين القبائل أن المنطقة تعرضت فى العصور السابقة لزلزال لعله هو المسؤل عن بعض ما أصابها من تخريب .

ثانيا : أثار منطقة خامى (Khami Ruins)

مع أن أثار منطقة زمبابوى بالذات هى التى تهمنا فى هذا البحث ــ فإن أهمية ما عثر عليه من آثار وبقايا فى المناطق الأخرى بروديسيا بالنسبة لنا يتركز فى محاولة إلقاء الضوء على مدى ارتباطها باثار زمبابوى أو على الأقل ما هى الاختلافات الواضحة بين هذه الحضارات وحضارة زمبابوى إن وجدت . وأما أثار خامى فقد وجد معظمها فى شريط طويل يمتد من تلال ماتوبو صوب الشمال الغربى على الضفة الغربية للنهر الذى يعرف بهذا الاسم ــ ولعل الأثر الذى أعطى رقم ١١ والذى يوجد منفرداً فى منطقة بعيدة نوعا عن باقى هذه المجموعة الأثرية هو أهمها من الناحية الأثرية(١) .

وتشغل هذه الآثار مساحة ميلين مربعين تقريباً ، ومن دراسة هذه الآثار يرجح أن المنطقة كانت عاصمة لعدة أحياء لتعدين الذهب ، وأن الذهب كان يفد لهذه المنطقة حيث يصهر ، ويبدو أن المنطقة كان يسكنها عدد كبير من السكان ، ولعل النهر كان هو الوسيلة للنقل .

وهذه الآثار تتمثل فى عدة حوائط من الجرانيت ، وقد استخدم حجر (الديوريت) فى أحيان قليلة ، والمبانى أقل ضخامة بكثير من مبانى زمبابوى ، كما يظهر بوضوح أنه جرت عليها عدة اضافات فى أزمنة متباينة ، وقد عثر على قطع من الفخار بجوار الآثار متناثرة لمسافات طويلة ــ ويبدو أن السكان كانوا يسكنون وادى النهر حول هذه الآثار .

ومن جهة الأثر رقم (١١) الذى أشرت إليه سابقاً فهو أكثر هذه الآثار بعداً عن النهر ــ فى الجهة الجنوبية الغربية من مجموعة خامى هذه على بعد ٧٠٠ ياردة

---

(١) أنظر الرسم المرفق حيث رقمت وحدات المجموعة الأثرية بأرقام مميزة .

تقريباً منها ، ويتكون من حوائط دائرية الشكل يبلغ محيطها تقريباً ستين قدما وارتفاعها أربعة أقدام . ولا شك فى أن الشكل الدائرى هنا يذكرنا بشكل الكوخ الذى اشتهرت به هذه المنطقة والذى يشبه أكواخ بعض القبائل فى التلال الغربية من بحيرة (نجامى) اليوم(١) .

وقد عثر بين أطلال الآثار هنا على بعض الآلات ، والأدوات التى تدل على أن المنطقة كانت عامرة بالسكان .

وإلى الشرق من هذه المنطقة الأثرية توجد محاجر الجرانيت حيث يعتقد أنها كانت المصدر الرئيسى لهذا الحجر .

ويرجع الفضل إلى جونسون ، ونيل (Johnson & Neal) فى الكشف عن بعض خبايا المنطقة ودراستها فى فترة بقائهما هنا من يناير إلى أبريل عام ١٩٠٠ . وقد وجد أكثر من ٤٠ أوقية من الذهب ، وأسلاك حديدية ، وقطعا معدنية وفخارية وغيرها — لكن مما لا شك فيه أن الكثير من آثار هذه المنطقة ما زال مدفونا فى الأرض ينتظر جهوداً أكثر للكشف عنه — فلا زال مثلا المعبد المتعلق بهذه المنطقة مدفونا ، وتكثر فى المنطقة أشجار التين وغيرها من الأشجار الهرمة والمعمرة .

ثالثا — آثار بلنجوى (Belingwe)

فى هذه المقاطعة الواقعة جنوب (فكتوريا) وجنوب غرب منطقة زمبابوى الأثرية وجدت بعض الحوائط المتناثرة ويعتقد أنها لنفس حضارة زمبابوى الأولى ، والبقايا تدل على أن المبانى كانت بيضاوية الشكل ، ولعل المنطقة كانت أيضا مركزاً

---

(١) أنظر Caton, Thompson: The Zimbabwe Culture (London 1971), P. 60.

ومن أحسن البحوث عن هذه الآثار : بحث Franklin, White : On the Khami Ruins near Balawaye.

Journal Royal Anthoro ological Institute of Great Britan and Scotland (J.R.A.I.), Vol. xxvi (1901).

لصهر الذهب ــ ولا تزال آثار هذه المنطقة تحتاج للكشف عنها ودراستها بعناية أكثر .

رابعا ــ آثار دهلو ــ دهلو (Dhlo—Dhlo)

توجد هذه الآثار فى طريق بولايو ــ جويلو Bulawayo–Gwelo على مسافة ٥٠ متراً شرق بولوايو ، وهى فى موقع ساحر ، ــ وباستثناء المبنى الذى يطلق عليه د. شلشتر (Dr. Schlichtor) اسم المعبد ، فإن باقى الآثار ترجع للزمن الثانى فى حضارة زمبابوى ــ والملاحظ أن العمل فى الحوائط الخارجية لهذه الآثار أكثر دقة ، ويدل على عناية أكثر من الوضع فيما يختص بالحوائط الداخلية(١).

ويعتبر بحث فرنكلين هويت (Franklin White) الذى نشر فى (١٩٠١) من أوفى وأحسن ماكتب عن هذه الآثار ــ هذا بالإضافة إلى الرسم الذى رسمه لها ، والصور الفوتوغرافية التى توضح شكل الحوائط ، ومختلف أنماط الزخارف وغيرها التى ظهرت فيها(٢) .

والمبنى الرئيسى بيضاوى الشكل بطول (٣٥٠) قدماً وعرض ٢٠٠ قدم ويمتد المحور الرئيسى من الشمال الغربى إلى الجنوب الشرقى ــ ويرتبط بالبناء الخارجى حائطان خارجان .

والمبانى عملت من كتل من حجر الجرانيت تختلف فى الشكل والطول ، والطبقة السفلى من كتل أكبر من التى استخدمت فى الطبقات العليا ، ولم تستخدم المونة فى الحوائط لكن غطيت القمة بطبقة من الطمى وحصى الجرانيت ــ وقد بنيت بعض الحوائط كالأعمدة من جهتين بينما ملء الفراغ بينها (بالدبش) والمدخل الرئيسى للمبنى فى جهة الشمال ، ويؤدى الى ممر ضيق .

وقد لاحظ فرنكلين هويت (F. White) أن هناك اهتماما بزخرفة الوجه الخارجي فقط للحوائط . لكنه لاحظ أيضاً أن الزخرفة غير منتظمة وأنها

---

(١) أنظر : Caton, Thompson : The Zimbabwe Culture (1971), P. 8.

(٢) J.R.A.I., Vol. xxl, P. 23.

وأنظر الرسوم والأشكال فى ملحق البحث ؛

تبدأ وتنتهى فجأة دون نظام معين وهذه الزخرفة عملت إما باستخدام أحجار مختلفة الألوان أو بطريقة الزخرفة المموجة أو غير ذلك .

وعلى الإمتداد الواقع شرقى المدخل الرئيسى توجد آثار مبنى مستدير وقد عثر (فرانكلين) فيه على أعمدة خشبية مثبتة فى الحائط بالأسمنت .

وقد تباينت الآراء حول الهدف من هذه المبانى — بينما يعتقد شلستر (Dr. Schlicter) أنها لعبادة الشمس ، ويعتقد إنها من أفضل الآثار التى وجدت فى أفريقيا جنوب خط الاستواء(١) فإن (Hall & Neal) يعتقدان أنها تمثل حصناً أكثر منها معبداً ، وأنها تمثل حلقة فى سلسلة القلاع الممتدة من الساحل الشرقى قرب (سوفالا) نافذة هذه المنطقة، بل إن البعض ارجع هذه الآثار إلى الفينيقيين ، وأن قبائل الكفير (Kafir) بحثاً عن المواد اللازمة لبناء أكواخهم عبثوا بها(٢) .

وإذا أخذنا بهذا الرأى فإن هذا يعنى أن هذه البقايا يرجع عمرها إلى ٢٣٠٠ سنة على الأقل .

هذا ونشير إلى بعثة د . راندال ماكيفر (Dr. Randall Maciver) فى عام ١٩٠٢ فى هذه المنطقة والتى نشرت تقريرها فى عام ١٩٦٦(٣) .

وقد عثر ماكيفر بين الخرائب فى هذه المنطقة على بعض الأوانى الفخارية لحفظ المياه ، وبعض الأدوات والأسلاك من الصفيح والزجاج وغيرها ، وهو يرجح أن الصفيح كان يصنع هناك محلياً وإنه كانت هناك فرص لصهره(٤) .

---

(١) Geographical Journal (April 1819).

(٢) Hall & Neal: The Ancient Ruins of Rhodesia (London 1902), P. 20.

(٣) نشرت أبحاثه بعنوان Mediaeval Rhodesia ، ويرى أن هذه الآثار ترجع للعصور الوسطى ، ويرى أن (زمبابوى) قد يرجع تاريخها للقرن السابع الميلادى وإن كان من المرجح أنها لم تكن فى ذلك الوقت ذات أهمية . فلم تبلغ أهميتها إلا فى القرون الوسطى المتأخرة ، أما باقى المناطق الأثرية التى يرجح إنها أصبحت مراكز هامة للنشاط . لكن أقل أهمية من زمبابوى — فقيامها ونشاطها لاحق لزمبابوى وحضارتها .

(٤) أنظر : Maciver : Mediaeval Rhodesia, P. 86.

ومن أهم ما عثر عليه ماكيفر بقايا الأوانى الفخارية السوداء والتى تميزت بزخرفتها باللون الأحمر – ويرجعها إلى قبائل الباروزى (Barozwi) التى يرجح إنها كانت فى ذلك الوقت تسكن هذه المنطقة(١) .

هذا وسنشير فيما بعد بتفصيل أكثر إلى أبحاث ماكيفر فى هذه المنطقة بالإضافة إلى الأبحاث الأخرى المتأخرة والتى تعتبر آخر ما وصل إلينا من أبحاث فى هذه الجهات مثل أبحاث كاتون توميسون (Caton Thompson) وسيمسمير س (R. Sumsmers) ورينسون (K. Robinson) وهويتى (Whilty) .

خامساً – آثار انيانجا Lnyanga

تقع هذه المنطقة الأثرية على بعد ٨٠ ميلا شمال اوميتالى (Umtali) وتمتد لمسافة طويلة تصل إلى ما يقرب من ميل ونصف .

زار هذه الآثار وكتب عنها كثيرون تذكر منهم د. شلشتر(Dr. Schlichter)(٢)، تلفورد ادواردز (Telford Edwards)(٣) ، وكذلك د . كارل بيترز (Dr. Karl Peters)(٤) وكذا ماكدونالد (G. Macdonald)(٥)

وآثار هذه المنطقة يمكن أن نقسمها إلى قسمين :

(١) مصاطب التلال Hill Terraces

(٢) آثار الوديان ، فى وادى مالى (Valley Ruins)

ويعتقد د . شليشتر (Dr. Sechlichter) إن آثار مصاطب التلال (Hill Terraces)

---

(١) Ibid : P. 49.

(٢) Royal Geographical Society (21 Feb. 1899).

(٣) Telford Edwards : Wonders of Mashonaland.
وقد ظهر بحثه فى : Rhodesian Herald (20 Dec. 1898).

(٤) Among the Ruins in the Mount. (Oct. 1899).

(٥) ظهر بحثه فى : Bulawayo Chronicle (18 Sept. 1901).

ترتبط باشياء وعوامل متصلة بالزراعة وهى متأخرة عن حضارة زمبابوى ولعل لها صلة بالعرب من الشرق ، أما آثار الوادى فهو يذكر إنها ترجع لحضارة أقدم وترتبط بآثار زمبابوى مع فروق .

ويلاحظ ويشلشتر أن المبانى هنا أقل منها فى آثار زمبابوى ، وأن الأحجار المستخدمة كثيراً ما تكون غير منتظمة وبشكل مضطرب .

بينما يسجل إدواردز (Edwards) إنطباعاته بعد رحلته فى (١٨٩٨) فيذكر « بعد عودتى من رحلتى — فيما اعتقد أنه الجزء غير المطروق من أرض الماشونا أسجل مشاهداتى فى المنطقة بين (انيانجا) وحقول الذهب فى المنطقة المعروفة بقيصر ويلهلم (Kaiser Wilhalm) .. .. فلقد شاهدت مايزيد على ١٥٠ ميلا مربعاً من الأرض فى هذه المنطقة مملوءة بأطنان الأحجار .. مما يدل على أن هذه المنطقة كانت تعج فى العصور الماضية ، بالآلاف العمال ، ولا يمكن تقدير مبلغ ما بذلوا من جهد هنا إلا لمن يشاهد ضخامة العمل الذى تظهر آثاره أو بقاياه ».

ويصف (Edwards) المصاطب على التلال فيذكر إن المصاطب ترتفع عمودياً وإنها كانت تستخدم لزراعة المحاصيل التى يعيش ويعتمد عليها السكان ، ويذكر أن المياه توجد فى شمال منطقة انيانجا وإنها كانت بلا شك ترفع إلى هذه المناطق لرى هذه الأراضى .. كما يشير إلى المبانى التى أطلق عليها اسم مصائد العبيد (Slave Pits) — وهى عبارة عن انفاق واسعة تحت سطح الأرض لكن لها مدخلا واحداً يؤدى للداخل لمسافة طويلة بينما سقوفها مغطاة بالأحجار ، وبعض الفلاحين حالياً — كما يذكر — يستخدمونها كزرائب لحيواناتهم بعد أن عملوا فتحات فى السقف للتهوية (١) .

على أن ماكدونالد (Macdonald) يشير إلى الحفر المنتشره فى هذه المنطقة ويجدها الإنسان كل ياردتين أوثلاثة — ويحدد عمقها بما يقرب من عشرين قدماً ، وقطرها بما يقرب من ١٢ أو ١٥ قدماً ويقول إنها الآن أغلبها مملوءة بالأحجار والأتربة . والحوائط مبنية من أحجار الجرانيت المرصوص بطريقة غير منتظمة ، والمدخل

---

(١) Hall & Neal : Op. Cit., P. 556.

معمول على مسافة من السطح ويؤدى إلى ممر ضيق وهى بهذا الشكل تشبه الخندق ويسهل لفرد واحد حراسته ، ولذا توحى بأنها كانت بمثابة مخزن للعبيد حتى يتيسر التصرف معهم ، وقد لاحظ أن سلسلة من القلاع تمتد لمسافة طويلة ، وقال إنه من بعيد تشبه هذه القلاع المنازل المعلقة ، ويعتقد أنها للمراقبة ، ولما كانت منطقة أنيانجا هى الضاحية الزراعية الرئيسية فى المنطقة فقد تكون القلاع أيضاً لحماية المزاره بالإضافة للقوافل التجارية(١) .

الأبحاث والحفريات الحديثة ونتائجها :

تتميز الأبحاث الحديثة التى أجريت فى منطقة زمبابوى ، والمناطق المرتبطة بها ، بأنها قامت على أسس علمية حديثة ،واستخدمت فيها وسائل لم تكن تحت أيدى الباحثين السابقين بالإضافة إلى المنهج المتبع فى الدراسة والبحث وتسجيل النتائج .

وقد أجريت أبحاث على المبانى نفسها من حيث طريقة البناء — أى الفن المعمارى والمواد التى أستخدمت ، ثم أجريت دراسات للبقايا والآثار التى عثر عليها ،واتجهت الأبحاث لمحاولة تقدير عمرها بالاستعانة بالكربون (١٤) المشع (Radio Carbon 14) كما أخذت عينات من المعادن وأجريت عليها تحاليل (Metallurgical Analysis) بهدف معرفة طبيعتها الكيماوية ، وطريقة خلطها إلى غير ذلك من الخصائص ، كما أن أنواع الخرز التى عثر عليها جرت محاولة لتصنيفها وتوصيفها وربطها بعمرها الحضارى .

هذا بالإضافة إلى ما أجرى على بقايا الهياكل العظمية من أبحاث ، وعلى التربة من تحاليل .

وفى النهاية محاولة رؤية النتائج فى ضوء الدراسة التاريخية للمنطقة وعلاقاتها بالمناطق الأخرى فى أفريقيا وخارجها ، والتيارات التاريخية والحضارية والسياسية التى تعرضت لها — فقد ثبت أن هذه المنطقة بالذات كانت من أكثر مناطق القارة تعرضاً للموجات المختلفة من الهجرات البشرية .

وتميزت الأبحاث الحديثة أيضاً بمحاولة التعمق أكثر ، إلى المناطق الواقعة تحت

---

(١) Bulawayo Chroniclo (18 September 1901).

الأرض التى أقيمت عليها هذه المبانى والتى اعتبرها الباحثون السابقون الأساس، بينما اتجهت الأبحاث الحديثة للتعمق فى محاولة لاكتشاف حضارات أو آثار حضارية سابقة زمنياً لتلك التى كشف عنها النقاب .

وسنشير هنا إلى أهم هذه الأبحاث الحديثة فى محاولة القاء الأضواء على النتائج التى توصلت إليها .

أولا : أبحاث راندال ماكيفر : (R. Maciver)

لعل من أهم الأبحاث الحديثة فى أثار زمبابوى أبحاث (د . راندال ماكيفر (Dr. Randall Maciver) الذى أوفدته الجمعية البريطانية لتقدم العلوم (British Association for the Advancement of Science) لدراسة هذه الآثار وكتابة تقرير عنها — وذلك فى عام ١٩٠٥ .

وقد نشر تقريره عنها فى عام ١٩٠٦(١) .

وكانت النتيجة التى خرج بها — أن هذه البقايا ترجع إلى العصور الوسطى المتأخرة ، وقد اعتمد — أكثر ما اعتمد — فى تقرير هذه النتيجة على دراسة لأنواع الخزف وقطع الزجاج الذى عثر عليه بين بقايا هذه الأطلال ، والتى لا يشك فى أنها مستوردة من الخارج . وكان من السهل أن يرجعها لأصلها التاريخى فى بلادها الأصيلة(٢) .

وكان ميدان عمل (ماكيفر) على الخصوص مناطق دهلودهلو (Dhlo Dhlo) وخامى (Khami) وانيانجا (Inyanga) وامتالى (Umtali) وزمبابوى (Zembabwe) .

وكانت منطقة (دهلودهلو) بالذات قد تميزت بكثرة ما وجدته البعثات الكشفية فيها من بقايا الفخار ، والزجاج بالإضافة إلى البقايا المعدنية .

---

(١) Medicavel Rhodesia (Macmillan 1900). "The Rhodesian Ruins ; Their Probable Origin and Significance, Geographical Journal, April 1906.

(٢) Maciveri M.R. P. 83

وقد عثر (ماكيفر) فى هذه المنطقة ، كما فى منطقة خامى (Khami) على نوع من الفخار من النوع الذى أطلق عليه (Hall) إسم فخار باروسوى (Barozwi) ، وهو يصنفه إلى نوعين(١) .

١ — نوع خشن الصنع ، وليست به أية زخرفة ، وهو مصنوع باليد دون إستخدام لأية آلة ، وقد طلى السطح الخارجى بمادة نباتية رصاصية اللون .

ب — نوع آخر استخدمت الآلة فى صنعه وسطحه أملس ، ويتميز بزخرفة عن طريق الحفر ، وغالباً يترك سطحه دون طلاء .

وقد عثر فى دهلودهلو و خامى على بقايا خبث الصفيح مما يدل — من وجهة نظره على أنه كان يصنع محلياً ولم يكن مستوردأ(٢) .

كما عثر فى (دهلودهلو) على أسلاك من البرنز ملفوفة حول فرع نبات .

وقد خرج من دراسته للفخار والزجاج الذى عثر عليه بين أطلال هذه الآثار إلى أنه يرجع لنفس تاريخ إقامة المبانى الذى حدده فيما بين القرن العاشر ، والقرن السادس عشر الميلادى ، وهو يرجح أن آثار (دهلودهلو) ترجع إلى عصر متأخر بعض الشئ عن آثار زمبابوى .

ومن جهة المبانى لاحظ قبل كل شئ أن سكان دهلودهلو استخدموا بدلا من الطين نوعاً من الأسمنت مصنوعاً من خليط من مسحوق الجرانيت ، والجير (Granite Cement) — وهو يعطى تصوره لطريقة تشييد المبانى هنا ، بأنه فى البداية تنشر طبقة الأسمنت على الأرضية فى مساحة واسعة ثم تقام الأكواخ على أعمدة خشبية ، وإن لم يشر إلى كيفية تثبيت هذه الأعمدة فى الأرضية هل مثلا تعمل حفر أو تترك فراغات لهذه الأعمدة أثناء عمل الأرضية من الأسمنت أم ماذا ؟(٣) .

---

(١) Maciver : Ibd P.P., 49 & 50.

(٢) Ibid P.P. 43 & 58.

(٣) لاحظت كاتون توسون Caton Thompson — تشابهاً بين هذه الطريقة التى يصفها لنا ماكيفر وبين ما تتبعه بعض القبائل الحالية فى إقامة أكواخها .

أنظر : Caton, Thompson : The Zimbabive Culture (London 1971) P230

وقد لفتت أنظار ماكيفر عند زيارته لآثار دهلودهلو الحوائط التى تبدأ من الناحية الغربية للمدخل الرئيسى بارتفاع من ٦ إلى ٨ أقدام وتمتد إلى جهة الجنوب والشرق إلى أن تتاخم إمتداد الحائط الشمالى الشرقى ، وبداخل هذا الحائط ممر أو نفق بعمق من ٨ إلى ١٥ قدماً ، وقد ذهب فرانكلين هوايت (Franklin White) إلى أن الهدف من هذا النفق والحوائط هو حصر أى عدو مهاجم بين الحائطين الخارجى والداخلى(١) .

وإن كان عدد غيره من الباحثين ذهبوا إلى أن هذا الممر بين الحائطين يشبه الممرات المتوازية التى وجدت فى آثار زمبابوى ، وإنها كلها مرتبطة بالشعائر والطقوس الدينية(٢) .

ويعتقد ماكسيفر أن آثار انيانجا (Inyanga) أسبق زمناً من الآثار الرئيسية فى زمبابوى .

وعند تعرضه لدراسة آثار زمبابوى كانت النقطة الرئيسية بالطبع هى محاولة القاء الضوء على التاريخ الزمنى لهذه الآثار ، وقد أشار (ماكيفر) بصراحة إلى أنه لو عثر على المقابر المرتبطة بحضارة زمبابوى العظيمة هذه لحسمت مسألة عمر هذه الآثار – لكن يغلب على الظن أن منطقة تلال مابنجوبوى (Mapungubwe) المطلة على اللمبوبو هى التى اتخذت كمدافن .

وقد لفتت نظره فى آثار زمبابوى – الأرصفة المتصلة بالمبانى الملحقة بزمبابوى والرصيف عادة يتصل بالمبنى الأصلى بسلم ، وبينما يعتقد البعض إنها لهدف دينى فإن (ماكيفر) يرجح إنها كانت بمثابة منبر يمكن منه للحاكم أو رجل الدين أن ، يخاطب الجماهير ، كما أنه يشير أيضاً إلى ملاحظة أخرى وهى – إنه لاحظ أنهذه الآثار تشير إلى أنها كانت مسقوفة وربما المداخل أيضاً (٣) .

---

(١) Franklin, White : (S.R.A.I. Vol xx1–1890), 25 & 26

(٢) Caton : Op. Cit. P. 168.

(٣) Maciver : OP. Cit P. 84.

وفى نهاية بحثه يثير ماكيفر تساؤلا هاماً — هو هل ياترى يوجد ما يجعلنا تعتقد أنه كان هناك استقرار فى هذه المناطق لشعوب وقبائل سابقة لتلك التى تنتسب إليها أثار وحضارة زمبابوى ؟

ويذكر أنه لا يستطيع أن يقرر ما إذا كانت الطبقات السفلى المطمورة تحت مبانى زمبابوى كانت مسكونة بشعوب سابقة لشعب زمبابوى أم لا ؟ .. لكنه يعود فيقرر إنه من المحتمل أن يكون هناك استقرار سابق فى هذه الأماكن ، لكن على كل — فمن وجهة نظره — حتى إذا ظهر ذلك فهذه المبانى القائمة حالياً لا تنسب إلى مثل هذه الشعوب السابقة .

ثانيا : ابحاث كاتون ثومبسون (Caton Thompson)

كانت نتائج أبحاث دكتور رندال ماكيفر المتعلقة باثار زمبابوى والتى أشرنا إليها تؤكد — من وجهة نظره — أن كل ما عثر عليه من آثار معمارية — أفريقية الأصل ؛ وكذلك البقايا التى عثر عليها بين أطلال هذه المبانى باستثناء بعض أشياء محددة كالزجاج الذى ثبت أنه مستورد من الصين وبلاد الفرس وغيرها من البلاد التى ارتبطت تجارياً بهذه المناطق ، كذلك أكد ماكيفر أن هذه المبانى الأثرية ترجع للعصور الوسطى المتأخرة وليس قبل ذلك بأى حال .

لكن فى الحقيقة لم تحسم هذه الأبحاث الأمر ، فلم تكد تنشر هذه النتائج حتى ثارت عدة أسئلة تتركز كلها تقريباً حول المشكلة الرئيسية المتعلقة بالعمر الزمنى لهذه الآثار ، وكان مما أثير تساؤل هو : ألا يحتمل وجود بقايا أخرى تحت أرضية الطبقات التى كانت موضع الدراسة — ترجع لعصور أسبق ؟

وللاجابة على هذا التساؤل — والوصول لحقيقة الأمر أرسلت الجمعية البريطانية لتقدم العلوم (Britcsh Association for the advancement of science) مس جرترود كانون توسون (Miss Gertrude Caton -Thompson) لروديسيا فى عام (١٩٢٩) لتقوم بعمل ما تراه لازماً من حفريات جديدة ولتعد تقريراً وافياً عن نتائج أبحاثها إلى الجمعية فى جوهانسبرج. ومن أهم ما أسفرت عنه أبحاث مس كاتون :

١ ــ العثور على كميات كبيرة من (الخرز) الصغير الحجم جمعتها من إحدى عشر مكاناً فى منطقة زمبابوى نتيجة أعمال الحفر التى تمت فى الطبقات الواقعة أسفل الأرضية الأسمنتية للآثار التى كشفت عنها، وقد قام بفحص هذه العينات وتصنيفها وكتابة تقرير عنها هوراس بيك (Horace Beck) ونتيجة دراسته هذه منشورة مع رسوم للأنواع والأشكال المختلفة فى ملحق كتاب كاتون(١) .

٢ ــ أخذت عينات متعددة من المعادن من التى عثر عليها فى مناطق متعدده ــ وقد قام البروفسور ستانلى (J.H.Stanley) من جامعة ويتوانزسراند (Witwatersrand) والبروفسور ديسن (C.H. Desen) من جامعة شيفيلد يبحث العينات التى ترجع لمنطقة زمبابوى . بينما قام البروفسور سبنسر (J.F. Spencer) من جامعة لندن بتحليل العينات التى أخذت من منطقة دهلودهلو(٢) .

وقد أثبتت هذه الدراسات وجود الذهب، والبرنز ، والحديد ــ على الخصوص ويعتقد أن الذهب كان يحصل عليه من طبقات سطحية غير عميقة .

٣ ــ عملت دراسات على قطع الجرانيت وغيره من الصخور فى هذه المنطقة وقد قام الجيلوجيون المختصون فى سولزرى (Geological Survey Office Sasbury) بدراسة هذه الصخور ، وقد وجد أن أهم الأحجار التى عثر عليها من الكوارتز ، والفلسبار (Felspar) والبيوتسيت (Bsotite)(٢) .

---

(١) "Rhodesain Beads" P.P. 229—242.

وقد قامت مس جرترود كاتون نفسها بدراسة طريفة عن تجارة الخرز فى العصور المختلفة حتى اليوم ، واستعانت بما ذكرته التقارير والسجلات البرتغالية ، هذا بالاضافة إلى دراسة ميدانية لها ومناقشتها لزعماء القبائل عن أهمية الخرز ونظرة القبائل الافريقية له . . وقد خرجت بنتائج مثلا أن الخرز الصغير مطلوب أكثر ، وأن اللون الأسود هو الأكثر – رواجا Caton : OP. Cit. P.P. 242& 243

ملاحظة : هناك دراسة تفصيلية قام بها Beck نفسه عن (الخرز) – تصنيفه وعلاقته بالحضارة البشرية

(٢) Caton : OP. Cit. P. 248 .

وتشير كاتون إلى إن القول بأن السكان الأصليين فى روديسيا لم تكن لهم دراية بعمليات التعدين الدقيقة ـ قبل الغزو الأوربى(البرتغالى)لا يستند على أدلة قوية ، وبالعكس فإن ما عثر عليه من أدوات يرجح أنها كانت تستخدم فى التعدين (حبال ، جرادل ، فحم ، الآلات من الكوارتز ، فوُرس مدببه ، ما يشبه البوتقه) جعلت بعض الكتاب يعطى صورة للمراحل التى يعتقد أن عملية التعدين كانت تمر بها(١) .

٤ ـ عملت دراسات وفحوص على بقايا بعض الجماجم التى وجدت فى هذه المناطق وقد قام ارثركيث (Arthur Keith) من الكلية الملكية للجراحين بفحص هذه الجماجم ، وفى تقريره عنها يشير إلى أنها تشبه جماجم بعض قبائل (البانتو) اليوم ، كما أشار إلى أنها كلها تعرضت للنار ، لكنه لم يستطع أن يجزم هل هذا نتيجة حادث طارىء أو نتيجة عمل متعمد مرتبط بالتقاليد(٢) .

٥ ـ هذا وقد قرنت مس كاتون بين ما يمكن استنتاجه عن تقاليد وعادات سكان زمبابوى وحياتهم الإجتماعية وبين الدراسة الأنثروبولوجية التى قام بها هيوج ستايت (Hugh Stayt) والتى خرج منها بوجود تشابه كبير يدعو للدهشة بين حياتهم وحياة قبائل البافندا (Bavenda) فرع الكارنجا (Karanga) بالبرتغال (٣) .

٦ ـ تعرضت (كاتون) فى تقريرها عن نتائج أبحاثها ودراساتها فى منطقة زمبابوى لمسألة هامة هى مسألة العملة ـ فلا شك فى أنها تعتبر من أهم العوامل التى يمكن أن ترشد إلى التاريخ الزمنى للآثار ـ وقد كانت البعثات الآثرية قد أشارت إلى العثور على عملات ترجع لعصور مختلفة فمثلا أشار (Hall & Heal) إلى العثور على عملة رومانية فى أومتالى (٤) .

---

(١) أنظر : Selous. F.C. : Travels & Adventures in South Rhodesea Africa. (1893) PP. 335—8.

(٢) Caton : OP. Cit. P'.P. 244 & 245.

(٣) Ibid. P.P. 249—259.

(٤) Hall, R.N. & Neal : The Ancient Ruths of Rhodesea (1925) P. 143.

وقد ثبت أن هذه العملة دخيلة على المنطقة ولا يمكن ربطها بعلاقات رومانية مع هذه البلاد ، كما أن ما أشار إليه البروفسور دارت (Dart) من وجود عمله بطلمية وما تدل عليه من علاقات قديمة بالمنطقة قد فنده سكوفيلد (Schofield) وأكد إنها دخلت المنطقة ضمن عملات أخرى ترجع للقرن العاشر الميلادى(١) .

وتذهب كاتون إلى أن أقدم عمله وجدت هناك يمكن أن نبنى عليها أية تعليقات هى عملة انجليزية ترجع للقرن السادس عشر ــ ولذلك فللأسف لا يمكن الإستناد إلى هذا الاتجاه من الدراسة لتحديد التاريخ الحضارى للمنطقة .

٧ ــ تذكر كاتون أن التأثير الحضارى العربي لا شك فيه ، فمنذ القرن العاشر الميلادى كان عدد كبير من التجار العرب قد استقروا فى الساحل الشرقى وكانوا يزاولون نشاطهم التجارى بين الساحل الأفريقى وبين شبه جزيرة العرب والهند والصين لكن المشكل يتعلق بالفترة السابقة لذلك ، وهى ترجح أنه يمكن أن نفترض أن استقرارهم كان سابقاً لذلك بثلاث قرون،وذكرت أن مؤرخى القرن العاشر من أمثال المسعودى وابن الوردى قد أشاروا إلى تجارة الذهب والعاج مع سوفالا .

لكن مس (كاتون) تشير إلى نقطة أخرى وهى أن دراسة آثار زمبابوى من فن معمارى، وسلالم ، وأرصفة حجرية وغير ذلك مما نجد له شبيها فى الآثار الهندية قد تدل على العلاقات التى كانت قائمة بين هذه المناطق والهند ، والوثائق البرتغالية بالذات تحدثت عن العلاقات التجارية مع الهند ، وقد أشار دوارت بربوسا (Duarte Barbosa) إلى هذه الحركة التجارية وإلى أن كميات ضخمة من الذهب كانت تخرج من هذه البلاد مقابل الأقمشة القطنية الملونة ، والحريرية والخرز ، وبعض البضائع الأخرى .

وتعلق مس كاتون على ذلك بقولها أن ما تذكره لنا المراجع عن غنى وثروة ممالك الهند فى القرن الرابع عشر تدعو للدهشة لكن لعل الكميات الضخمة من الذهب التى نزحت من روديسيا تعطى تفسيراً لذلك (٢) .

---

(١) Dart : Natare (March 21, 1925).
Schofield, Nature, (March, 1926.)

(٢) Caton : OP. Cit, P. 198.

هذا ولابد فى هذا المجال من الإشارة إلى البحث العميق والقيم الذى قام به كينيون (Kenyon) حول كشف ساحل أفريقيا الشرقى وعما تعرض له هذا الساحل طوال تاريخه من موجات بشرية — وقد نشر هذا البحث كملحق لأبحاث كاتون (١) .

هذا على أن (مس كاتون) تخرج من دراستها هذه — إلى إرجاع الحضارة التى قامت فى هذه المناطق إلى القرن الثامن أو التاسع الميلادى ، وهى تشير إلى أن هذه الحضارة ترجع لعصرين متعاقبين من غير أن تكون بينهما فترة زمنية كبيره وتشير إلى أن الأوانى من الحجر الصابونى (Soap Stone) والتى عثر عليها ، والتى تمثل شكل حيوانات لها قرون تدل على حضارة رعوية سابقة لحضارة زمبابوى التى تميزت باستغلال الذهب وصهره وتصنيعه — وتذكر كذلك إن حضارة دهلو

---

(١) أشار فى هذا البحث إلى أن هذا الساحل الشرقى للقارة كان مطروقا من قديم الزمان للأسيويين خاصة من شبه جزيرة العرب ، وأشار إلى رحلة حتشبوت ، البحرية ، وإلى ما أشار إليه هيرودوت عن رحلة الفينيقين الذين أرسلهم نخاو فداروا حول القارة ، وإلى ما أشار إليه Play عن معرفة إتجاه الرياح الموسمية (وأثرها على حرية السفن — كذلك ما جاء فى كتاب البحار الأرثيرى وهو يرجع من ٦٠ إلى ٨٠ ق.م The periplus of the Erythean Sea عن الرحلات من شبه جزيرة العرب للساحل لأفريقى ، وكذلك لإشارات بطليموس الجغرافى إلى ذلك وإلى تدهور مملكة حمير ، ومد مملكة اكسيوم نفوذها إلى اليمن فى القرن الثالث الميلادى وبالتالى السيطرة على تجارة المحيط الهندى ، ثم منافسة الفرس للعرب فى تجارة المحيط الهندى ، لكن عادت السيطرة للعرب من جديد ، وهو يشير إلى هجرة العرب لشرق أفريقيا خاصة بعد أن زادت الصراعات السياسية فى شبه جزيرة العرب فى القرن السابع الميلادى — ثم يشير لما ذكره المسعودى وغيره من الكتاب العرب عن الاستقرار العربى فى شرق أفريقيا — ولعل ماركوبولو أول أوربى أشار لذلك (١٢٩٨) ، لكن ابن بطوطه الرحالة العربى (١٣٠٤ — ١٣٦٩) يشير للإمارات العربية الزاهرة هنا .

ملاحظة : هناك أيضا دراسة تفصيلية قيمة عن تاريخ الساحل الشرقى الافريقى والموجات التى تتابعت عليه قام بها (Theal) .

أنظر :

Theal, Hage : Records of South Eastern Africa (Printed for the Government of Cape Colony 1896—1963)
Vol. VI P. 233.

دهلو (Dhlo) امتداد لحضارة زمبابوى ولاحقة لها . وهذا يؤكد من وجهة نظرها عامل الاستمرار فى حضارة زمبابوى (١) .

وتذكر مس كاتون أيضاً أن جميع أبحاثها تجعلها ترجع هذه الحضارة إلى أصل أفريقى صرف ، لكن هذا لا ينفى وجود تأثيرات فينيقية أو رومانية أو مصرية ، قديمة أو عربية أو هندية — نتيجة الاحتكاك التجارى والسياحى على مر العصور التاريخية (٢) .

وترى مس كاتون أن الأمر إذاً يحتاج إلى أن نقف مع عقولنا لنصل إلى الأسباب المعقولة التى تبرر تدهور حضارة زمبابوى ونزولها من أوجها فى القرن العاشر أو حوالى ذلك التار يخ إلى الوضع الذى وجدها عليه البرتغاليون حين قدموا للمنطقة فوجدوا قوما يسكنون أكواخاً صغيرة محاطة بأسوار من القش بدلا من المبانى الحجرية الضخمة المحاطة باسوار حجرية منيعة .

وتشير مس (كاتون) إلى عدة أسباب تقول لعلها كلها أو بعضها أدت إلى هذا التدهور — منها هجرات (البانتو) وزحفهم الذى يمكن أن نشبهه بزحف الجراد ، ولعل موقع روديسيا يجعلها كمعبر فى الطريق وليست مثلا كجنوب القارة حيث ينتهى الأمر بالإستقرار ، وتضيف إلى أن (الاكرويول) لعله كان فى عصور القوة بمثابة قلعة أو حصن دفاعى (٣) .

ومن المعروف أن قبائل (البانتو) الزاحفة من وسط أفريقيا لم تكن فى وقت من الأوقات ممن إشتهر بالمبانى الحجرية — لكن لا شك فى أن توفر الصخور الجرانيتية فى هذه البيئة قد تدفع إلى استخدام الأحجار بدلا من جمع الأحطاب وفروع الأشجار ، لكن يحتاج الأمر لوجود شخصية قوية حازمة على رأس الجماعة تدفعها لهذا التغيير ، فالأمر متوقف على أن تكشف لنا الدراسة عن هذه الشخصية التى ارتبط بها هذا التغيير .

وقد يرجع الأمر إلى حروب داخلية وثورات القبائل على حكم (المونوموتابا)

---

(١) Caton : OP. Cit P. 135.

(٢) Ibid : P. 196.

(٣) Ibid : P. 198.

كما أن تيلور (Tylor) — وهو من أول الذين كتبوا عن هذه الآثار بعد أن ألقى (Mauch) الضوء عليها — يرجع الأمر هنا إلى موجة غزو خارجى بالاضافة إلى تجارة الرقيق وما سبقه من خراب بشرى وعمرانى (١) .

وتختم كاتون كلامها بأن الأمر يرجع فى الحقيقة إلى أسباب متعددة طبيعية وسياسية وروحية غير معروفة تماماً ولا نستطيع إخضاعها للعقل والمنطق . . لكن الأمر محتاج لمزيد من الدراسات الأنثروبولوجية المتعلقة بالبانتو الجنوبيين وترجو ألا يكون الوقت المناسب لهذه الدراسات قد فات — أو كما تعبر هى أن يكون المريض قد وصل لدرجة الاحتضار قبل أن نقدم له العلاج — وإن كانت دراسات (Dr. Stagt) بين قبائل البافندا (Bavinda) — كما تذكر — تعطى الأمل فى أن الأمر ما زال تداركه ممكنا (٢) .

ثالثاً : أبحاث سميرس ، وروبنسون ، ويتى

(R. Summers. K, Robinson & A. Bitty)

فى عام (١٩٥٨) قام ثلاثة من الباحثين بتكليف من لجنة المتاحف الوطنية والآثار التاريخية بروديسيا الجنوبية (National Museums andHistoical Monuments Commession, Southern Rhodcsia) بابحاث فى هذه المناطق الأثرية برودسيا ونشرت هذه الأبحاث بعد ذلك(٣) .

وقد عكف الباحثون الثلاثة على دراسة الآثار المعمارية والأدوات والآلات وقطع الخرز وغيرها التى عثر عليها فى هذه المناطق ، والنتيجة الهامة التى اسفرت عنها هذه الدراسة هى محاولة تصنيف لهذه الآثار يمكن فى ضوئه تكوين صورة عن التطور الحضارى للسكان الذين عاشوا هنا .

وقد قسم الباحثون الثلاثة — نتيجة دراساتهم — حضارة زمبابوى إلى أربعة عصور زمنية حضارية رمزوا لها بالرموز (A.B.C, D) بينما قسموا المجموعة B

---

(١) Tylor, E.B. : Primitive Culture (1973) P. 47.

(٢) Caton OP. Cit. P. 194.

(٣) "Occasional Papers at the National Museum of Southern Rhodesia– Vol. 3" 1961.

إلى قسمين، ولكل عصر أو زمن من هذه العصور له ميزانيته الفنية التى تتضح فى نوع الفخار وغيره من الدلائل الحضارية .

فالزمن الأول : يتمثل فى الحوائط الضخمة القائمة على أسس عميقة ، وأحجارها متماثلة ، والمدخل فى نهاية الحوائط ومستدير ، بينما الأرضية من حجر الجرانيت ويشمل هذا الزمن المدة من القرن الثامن إلى الحادى عشر .

الزمن الثانى : يتمثل فى آثار أقل ضخامة من الزمن الأول ، والمدخل غير مستدير ، ولا يصل الأساس عادة إلى أعماق بعيدة ، لكن ازدادت محاولة تزيين الحوائط الخارجية ،ويشمل هذا الزمن الفترة من القرن الحادى عشر إلى الثالث عشر.

الزمن الثالث : يتمثل فى زيادة الاهتمام بانتقاء الأحجار وتهذيبها .

ويشمل هذا الزمن الفترة من القرن الثالث عشر إلى الخامس عشر .

الزمن الرابع : يتمثل فى استخدام حجارة عولجت بحيث أصبحت زواياها مستديرة ، ويلاحظ فى هذه الفترة كثرة الأبنية التى على شكل قلاع للحماية .

ويشمل هذا الزمن الفترة من القرن الخامس عشر إلى الثامن عشر .

هذا ويرجح الباحثون ــ أن حضارة زمبابوى ــ فى أصلها حضارة رعوية ، لكن تعرض السكان لضغط عناصر أخرى متفوقة بأسلحتها وآلاتها الحديدية التى تتميز عن الآلات العظمية والخشبية أو الحجرية التى كان يستخدمها السكان ــ وترتب على ذلك تطور فى حياة السكان ــ ويعتقد الباحثون أن هذه العملية لم تتم نتيجة هجوم جماعى لكن تسرب بطىء ــ ولعله لم يكن منتظماً كما تدل على ذلك الآثار التجارية وغيرها .

ويذكرون أن هؤلاء الناس استخدموا المعادن كالحديد والنحاس فى صنع أدواتهم خاصة أدوات الزينة لكن الغريب أنهم لم يستخدموا الذهب مثلا فى صنع الحرز أو أدوات الزينة بل اعتبروه مجرد مادة كالعاج يخدم عملية التبادل التجارى .

وفيما يتعلق بالتحديد الزمنى فقد رجحت هذه الأبحاث أن الفترة بين القرن الثامن والعاشر تمثل البداية المرجحة — لكن ما زال الأمل معقوداً على العثور على مقابر هؤلاء السكان فى تلال مابنجوبوى (Mapungubawe) أو فى غيرها فلعل هذه تحسم مشكلة التحديد التاريخى هذه(١) .

كلمة ختامية :

إن هذه الدراسات كلها بلا شك توضح أهمية الحضارة التى قامت فى هذه المنطقة من إفريقيا .

وقد انتهت الدراسات السابقة كلها إلى أنها أفريقية ترتبط بالشعب الأفريقى الذى عاش فى هذه المنطقة لكن هذا لا يمنع أنها تأثرت نتيجة احتكاكات تجارية وسياسية .

ولعل النتيجة التى وصلت إليها (مس جرترود كاتون) فى مقدمة الطبعة الجديدة لكتابها (١٩٧١) ، وبعد دراستها لكافة الأبحاث التى نشرت حتى هذا التاريخ — من أن حضارة زمبابوى مرت فى مراحل ثلاث — منطقية .

وهذه المراحل هى :

(أ) المرحلة الرعوية الزراعية .

(ب) مرحلة استخدام الحديد وما يرتبط بها من مظاهر حضارية مختلفة .

(جـ) المرحلة المرتبطة بالنشاط التجارى — المتمثل على وجه الخصوص فى تبادل الذهب والعاج بالخرز ، والأقمشة الملونة وما ترتب على ذلك من إحتكاك حاضرى ومن تطوير فى حياة السكان ونشاطهم .

---

(١) عثر صدفة فى عام (١٩٦٠) أثناء اقامة سد كاريبا على جماجم بشرية فى منطقة تبعد ٣٠ ميلا تقريبا عن السد المذكور وليست بعيدة عن مناطق مناجم الذهب ، بالإضافة إلى كثير من الآلات الحديدية، والخرز — وقد أرجع تاريخها إلى القرن ١٢ أو ١٠ م ، فهى بذلك تكون معاصرة لحضارة زمبابوى — ومن الجثث التى وجدت جثتان يبدو أنهما لشريفين يعتقد أنهما من شبه جزيرة العرب أو من الهند .

على أن الانتقال من مرحلة إلى أخرى ارتبط بتغيرات سياسية واجتماعية فى المنطقة وبوجود قيادات استطاعت أن تفرض سلطانها ونفوذها على السكان وأن توجه نشاطهم فى إتجاه معين .

ومن جهة التحديد الزمنى لعمر هذه الآثار — فمع أن الأبحاث الحديثة ترجعها للعصور الوسطى ، وللفترة بين القرن الثامن ، والثالث عشر بالذات — فإنها كلها تشعر فى نهاية المطاف بأن الأمر لا زال يحتاج للمزيد من البحث والدراسة .

وقد أثارت مشكلة الفروق الحضارية بين ما تمثله هذه الآثار من حضارة متقدمة وبين الأوضاع فى المنطقة فى الوقت الذى وصل فيه البرتغال إلى الساحل الأفريقى الشرقى — مناقشات طويلة ، واضطر كل من تعرض لهذه الآثار الحضارية من الدارسين للبحث عن أسباب لهذا التدهور الحضارى .

أما عن علاقة هذه المناطق بالعرب فى شبه جزيرة العرب فأمر لم يختلف فيه إثنان لكن المشكلة انحصرت فى تحديد بداية هذه العلاقات ومدى الأثر الحضارى العربى على هذه المناطق — وهل يرجع إلى حضارة سبأ . وهل هو العامل القوى المؤثر فى حضارة زمبابوى فى عصر استغلال مناجم الذهب وتعدينه بالذات . . . أم أن هذه العلاقات العربية بتأثيراتها القوية لا تمتد إلا للعصر الإسلامى .

وفى الختام أجد من الواجب أن أقدم شكرى للذين عاونونى فى الحصول على كافة الأبحاث المنشورة عن هذه الحضارة الأفريقية — وهى عديدة ومتناثرة وهم كثيرون أيضاً — لكننى أخص بالشكر السيد — مدير المعهد البريطانى بالرباط (Mr. Potter) والقائمين بالأمر فيه ،والمشرفين على المكتبة العامة فى بريكستون بانجلترا (Central Library) فلولا معونتهم الصادقة وتفهمهم الحقيقى للهدف العام من البحث لما استطعت الحصول على العديد من الكتب ، ومعظمها نسخ وحيدة هذا بالإضافة إلى النشرات والصور التى ذيل بها هذا البحث والتى تحمل إسم المكتبة المذكورة .

والله ولى التوفيق .

دكتور — شوقى الجمل

بيان بالأشكال الملحقة بالبحث

رقم الشكل

١ — رسم عام لآثار زمبابوى
(لبيان موقع كل أثر منها)
رسم (Franklin White)

٢ — رسم تخطيطى للأكروبول (زمبابوى)
رسم (Franklin White 1903)

٣ — المعبد البيضاوى (زمبابوى)
رسم (Franklin White 1928)

٤ — خرائب خامى (Khami)
رسم (Franklin White 1903)

٥ — خرائب دهلودهلو (Dhlo Dhlo)
رسم (Franklin White 1903)

٦ — رسوم لبعض البقايا الأثرية فى وادى الخرائب
خرائب موند (Maund) — لبيان أرضية الأسمنت ، والفن المعمارى وطريقة صف الأحجار .
(Caton : The Zimbabwe Culture P.P. 17—18) and 38

٧ — الأكروبول — المبانى المتدرجة (المرتدة) لتكون السلالم .
— ورسم من المعبد البيضاوى يوضح المدخل الشمالى من السرادب السرى
— ورسمان من المعبد البيضاوى لتوضيح الزخرفة على الحوائط
Caton : P. 102 & 105.

٨ — بعض الحوائط فى زمبابوى لتوضيح الزخارف المختلفة

Hall : Great Zimbabwe

٩ — بعض التماثيل من الحجر الصابونى (زمبابوى)
(من متحف جنوب أفريقيا)

١٠ — البرج المخروطى بالمعبد البيضاوى (زمبابوى)

١١ — عملة (فينيقية) عليها البرج المخروطى .
— اناء خشبى (سلطانية) عليه رسم يمثل دائرة البرج (وجد بجوار زمبابوى) .

١٢ — بعض الأدوات التى عثر عليها بين آثار زمبابوى (متحف بولايو)

١٣ — الحرز من خرائب زمبابوى

Caton : P. 187.

١٤ — دهلو — دهلو
بعض الأوانى الفخارية التى عثر عليها .

Caton : P. 133 & 177

١٥ — أسطوانة من الحجر الصابونى .
وردية الشكل (وجدت بجوار زمبابوى ، وأخرى فينيقية للمقارنة)

Hall : Great Zimbabwe

١٦ — أدوات من الأحجار
من آثار زمبابوى ودهلودهلو

Caton : P. 285.

١٧ — خريطة لزمبابوى (روديسيا الجنوبية) لتوضيح الأماكن الأثرية والمدن الهامة

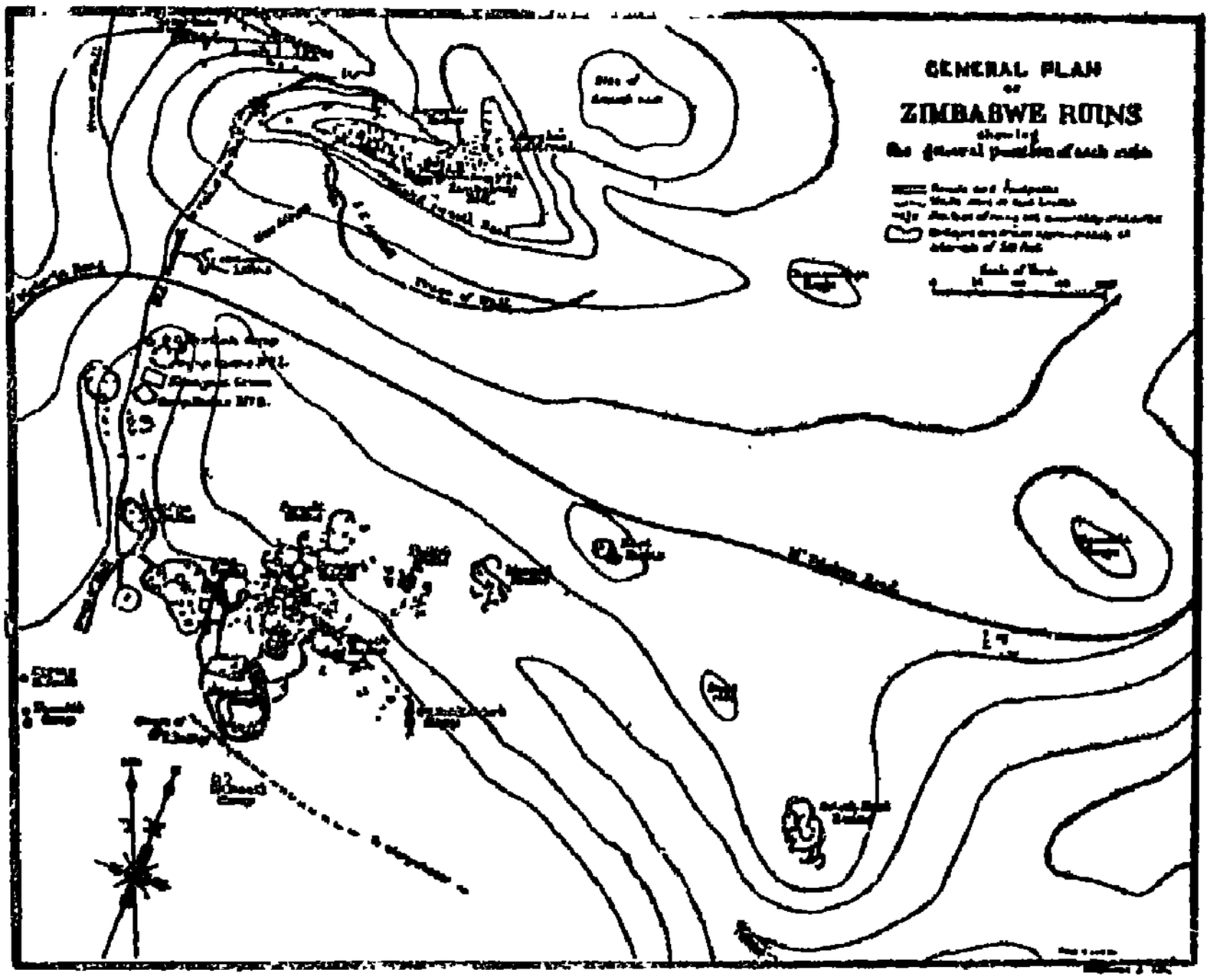

شكل (١)

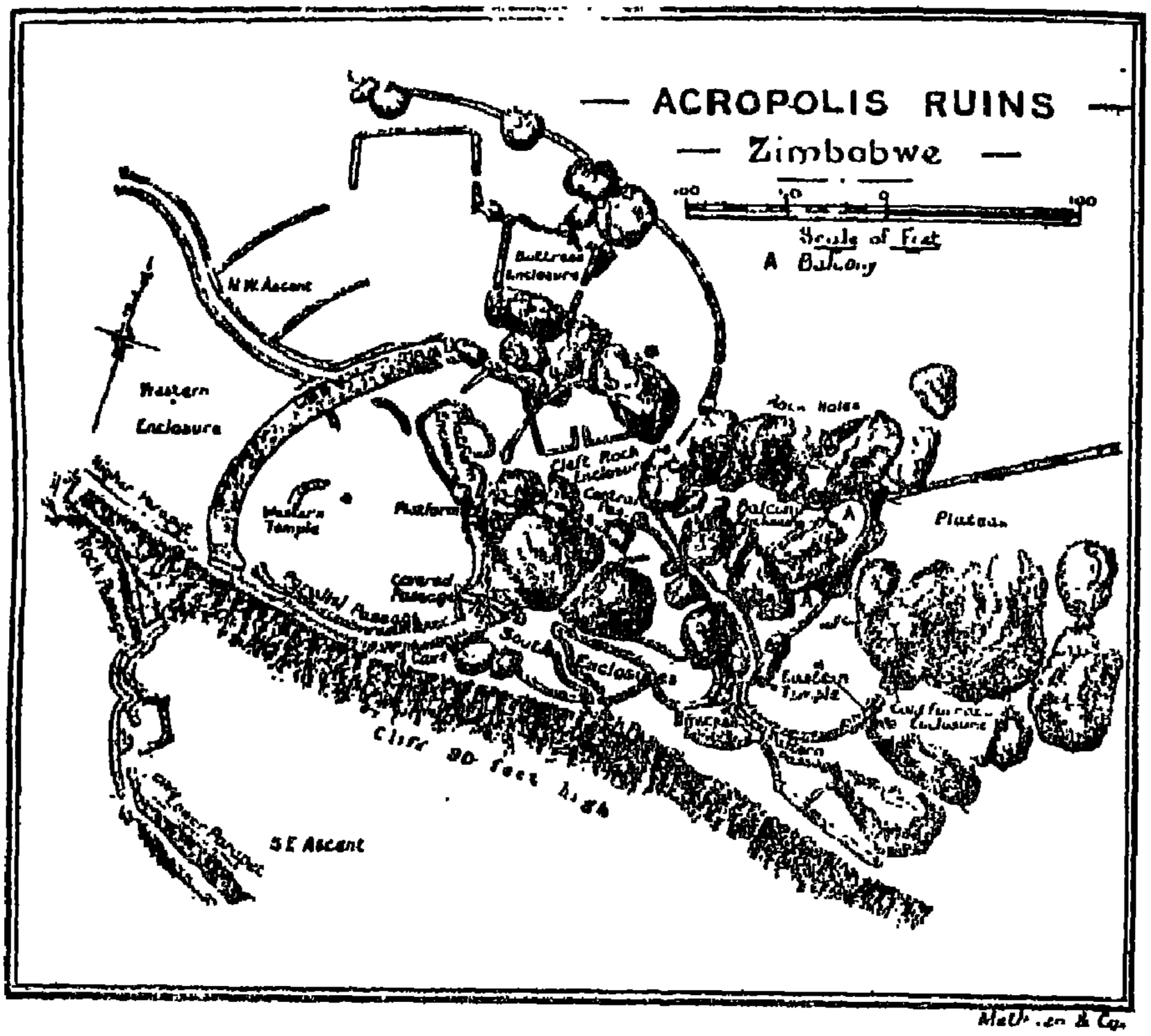
— ACROPOLIS RUINS —
— Zimbabwe —
Scale of Feet
A Balcony
N.W. Ascent
Western Enclosure
Western Temple
Platform
Central Passage
South Enclosures
Cliff 90 feet high
S.E. Ascent
Rock Holes
Cleft Rock Enclosure
Central Enclosure
Eastern Temple
Plateau

شكل (٢)

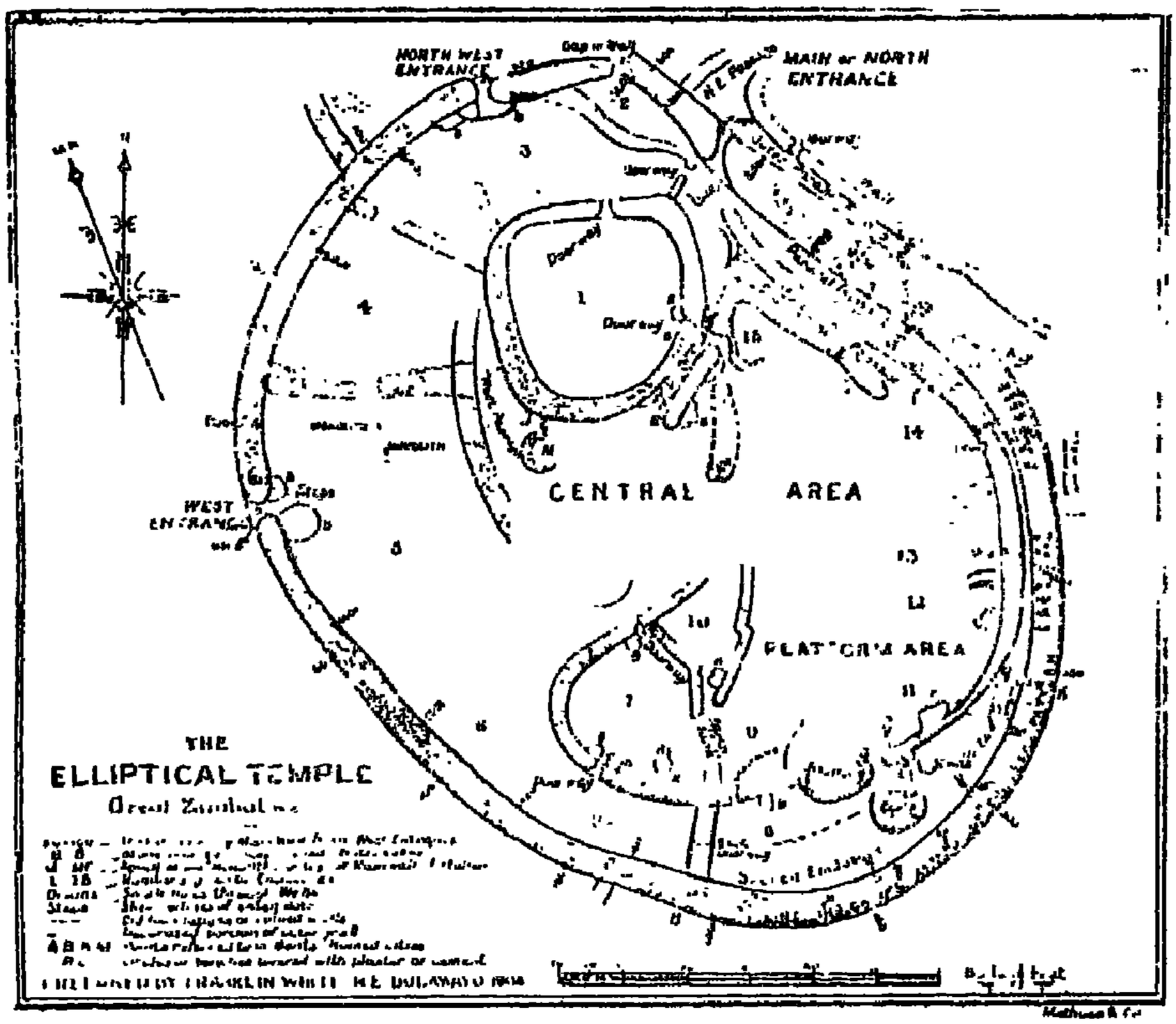
NORTH WEST ENTRANCE
MAIN or NORTH ENTRANCE
CENTRAL AREA
PLATFORM AREA
WEST ENTRANCE
THE
ELLIPTICAL TEMPLE

شکل (۳)

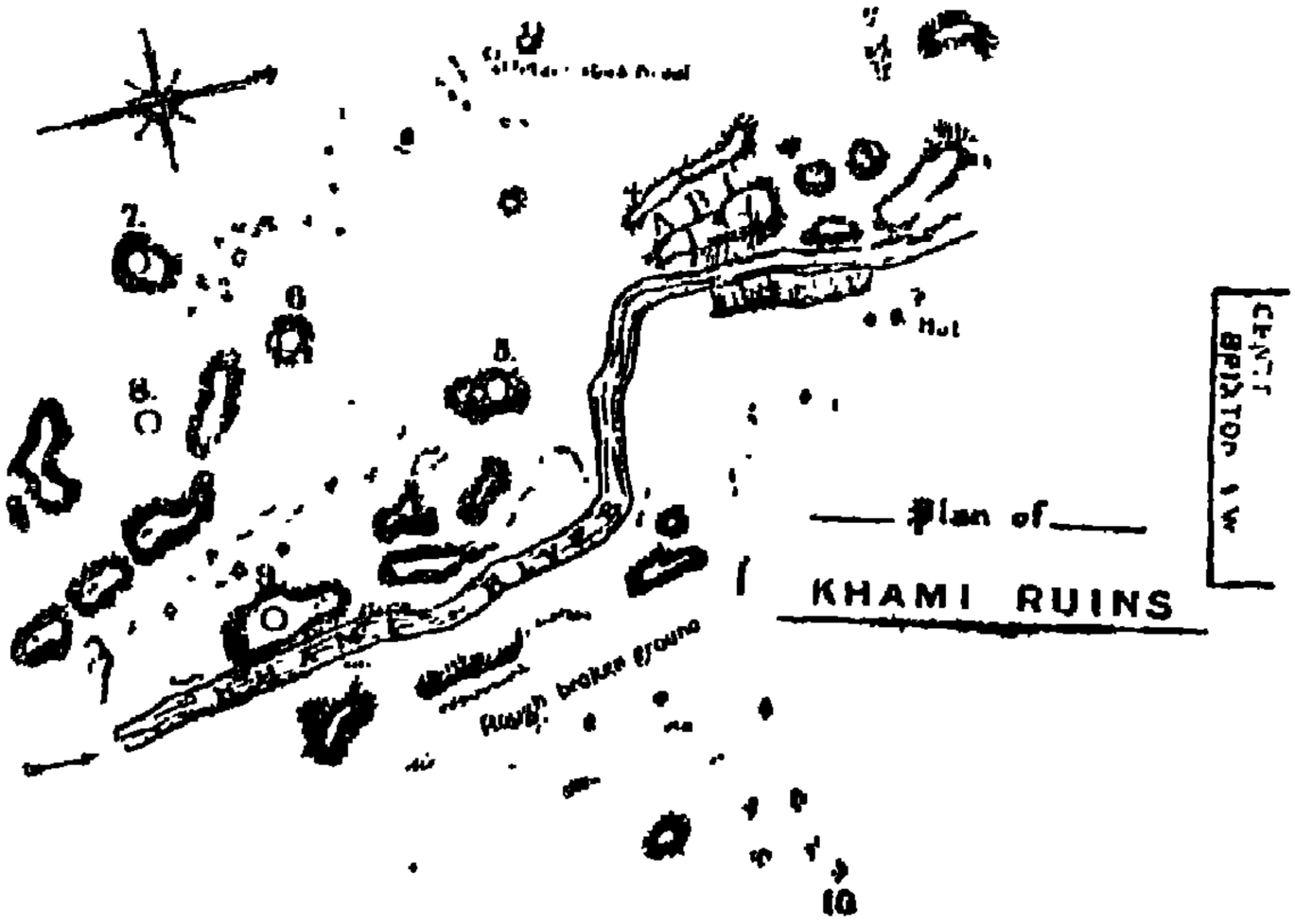

شكل (٤)

PLATE I

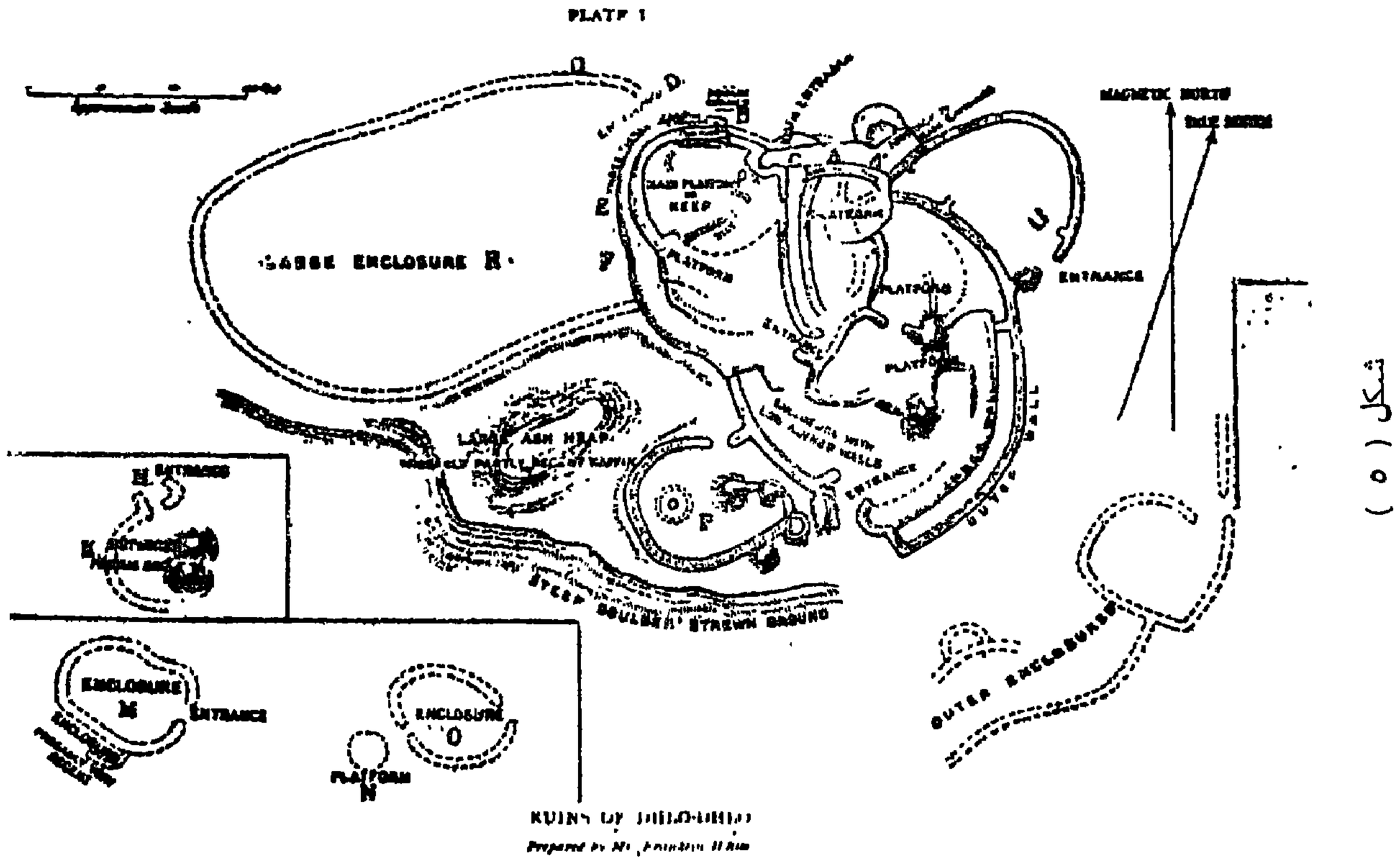

RUINS OF [illegible]

Prepared by Mr. [illegible]

شکل (٥)

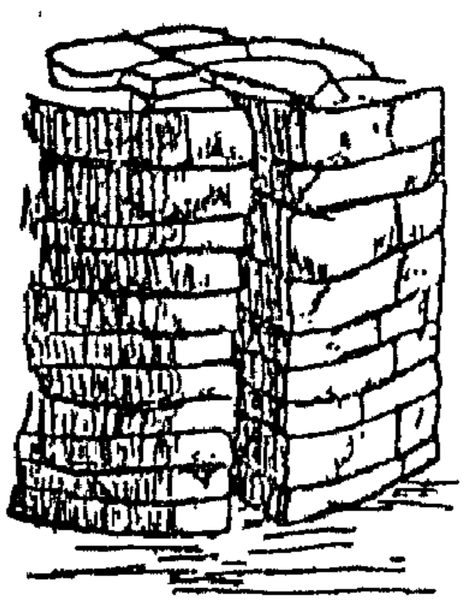

Fig. 1 Maund Ruins
V-shaped chase in Bastion 10

Fig. 2 Maund Ruins
Internal construction of Wall 5

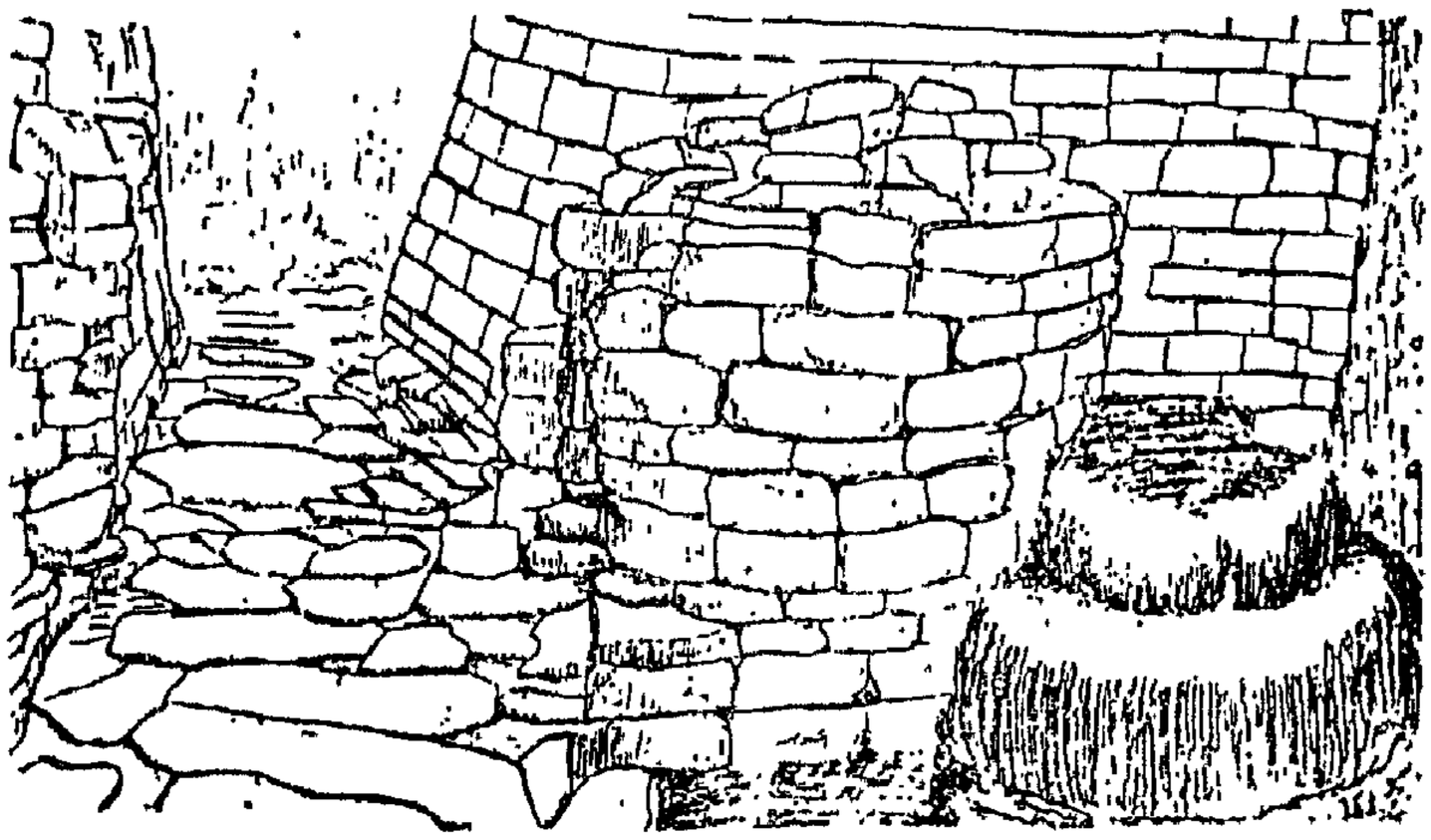

Fig. 3 Maund Ruins. Vertical end of Wall 2 pressed against Daga Mound 4 (right background). Chased bastion and bevelled cement bench (foreground)

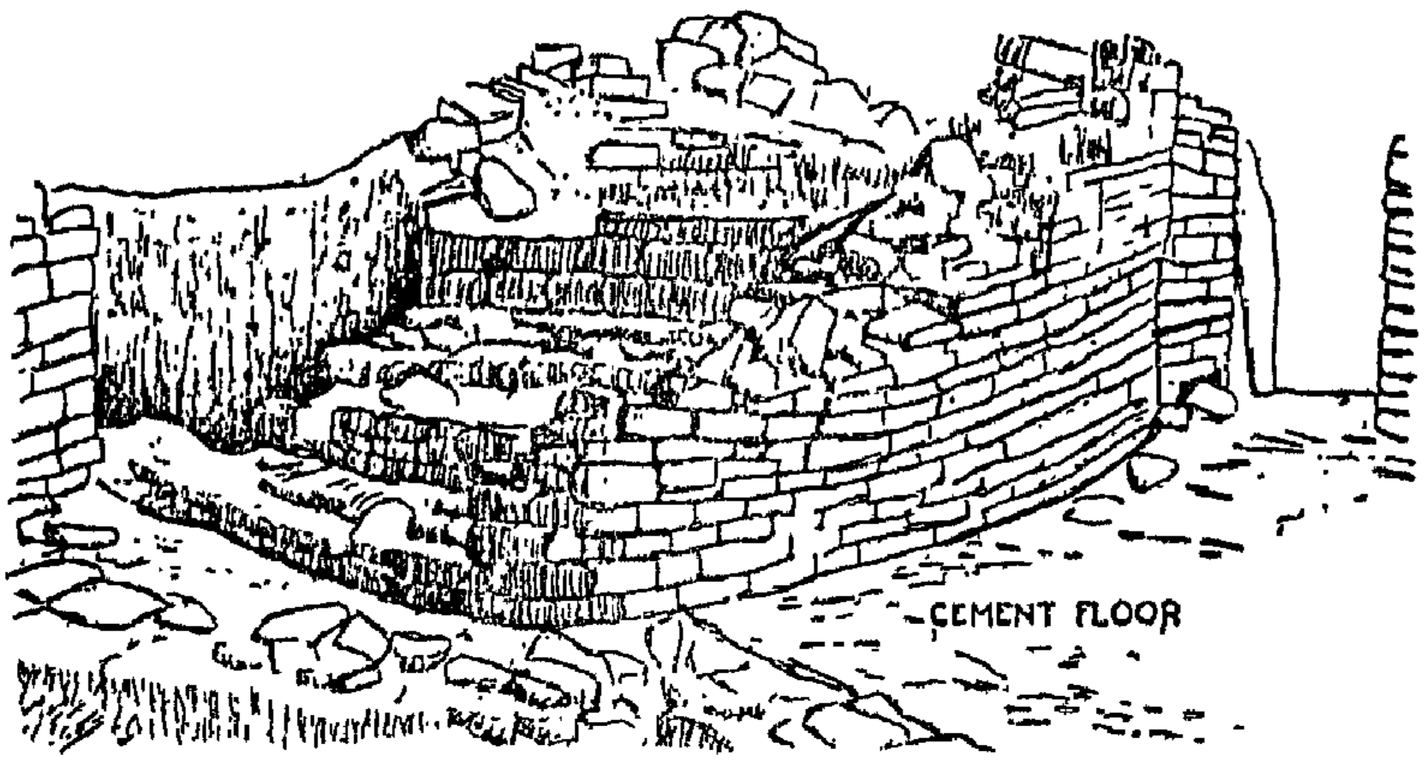

Fig. 4 Maund Ruins. Platform 10, with abutment of daga mound (4) seen as section

شكل (٦)

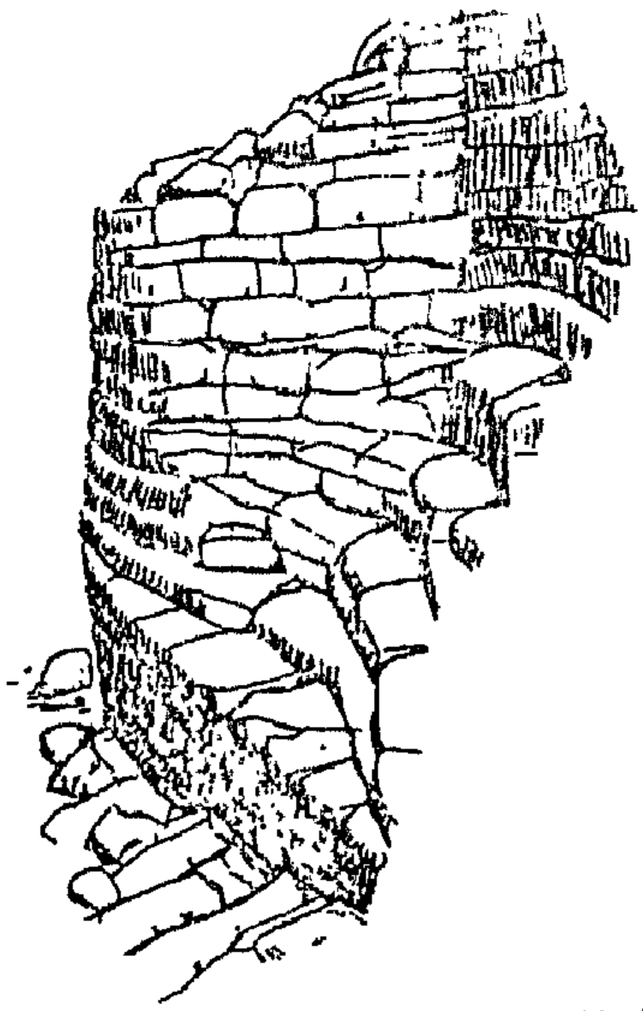

Fig 4 Acropolis Recessed courses forming blind steps

FIG 3
CHEVRON PATTERN ON WALL OF ELLIPTICAL TEMPLE
ZIMBABWE

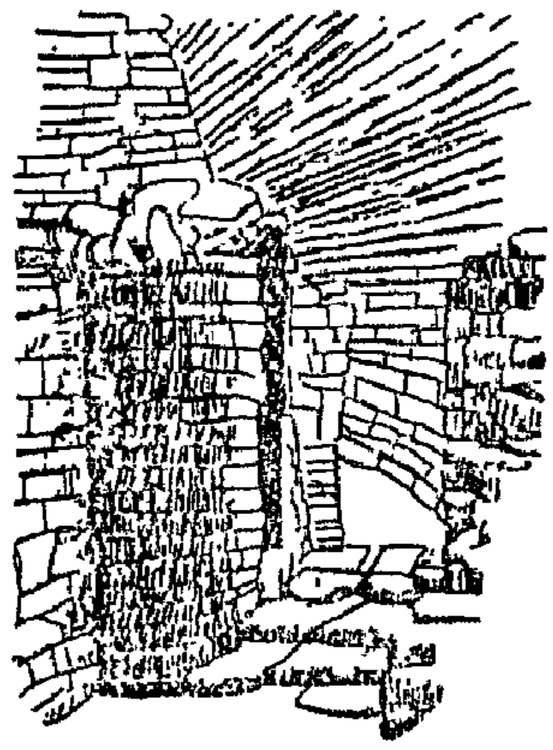

Fig 5 Elliptical Building
North Entrance to Sacred Enclosure from the Parallel Passage, with chased bastion

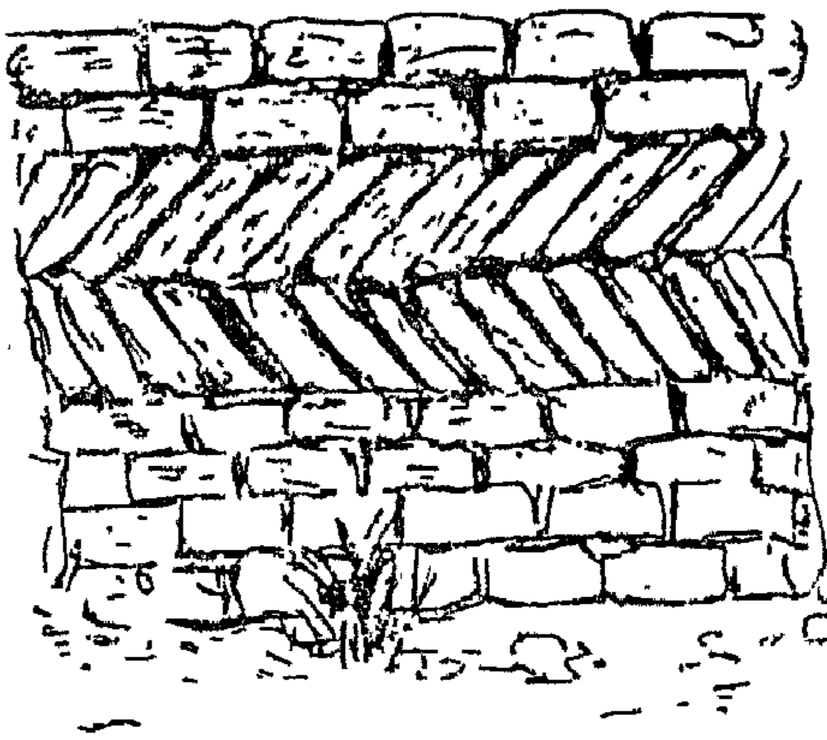

FIG 6
HERRINGBONE PATTERN FORMED OF LARGE HEWN STONES, LITTLE ZIMBABWE RUINS

شكل (٧)

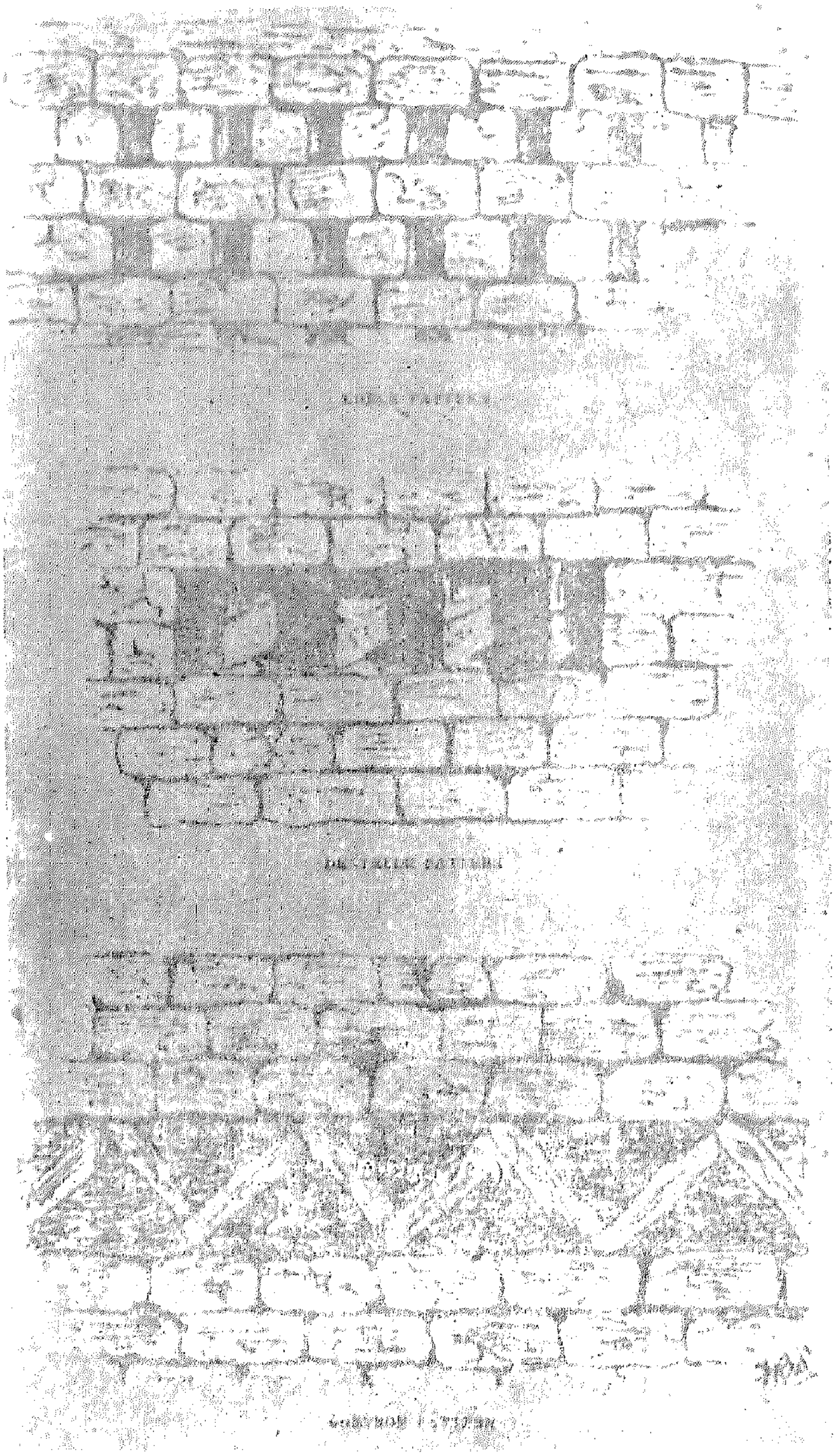

شكل (٨)

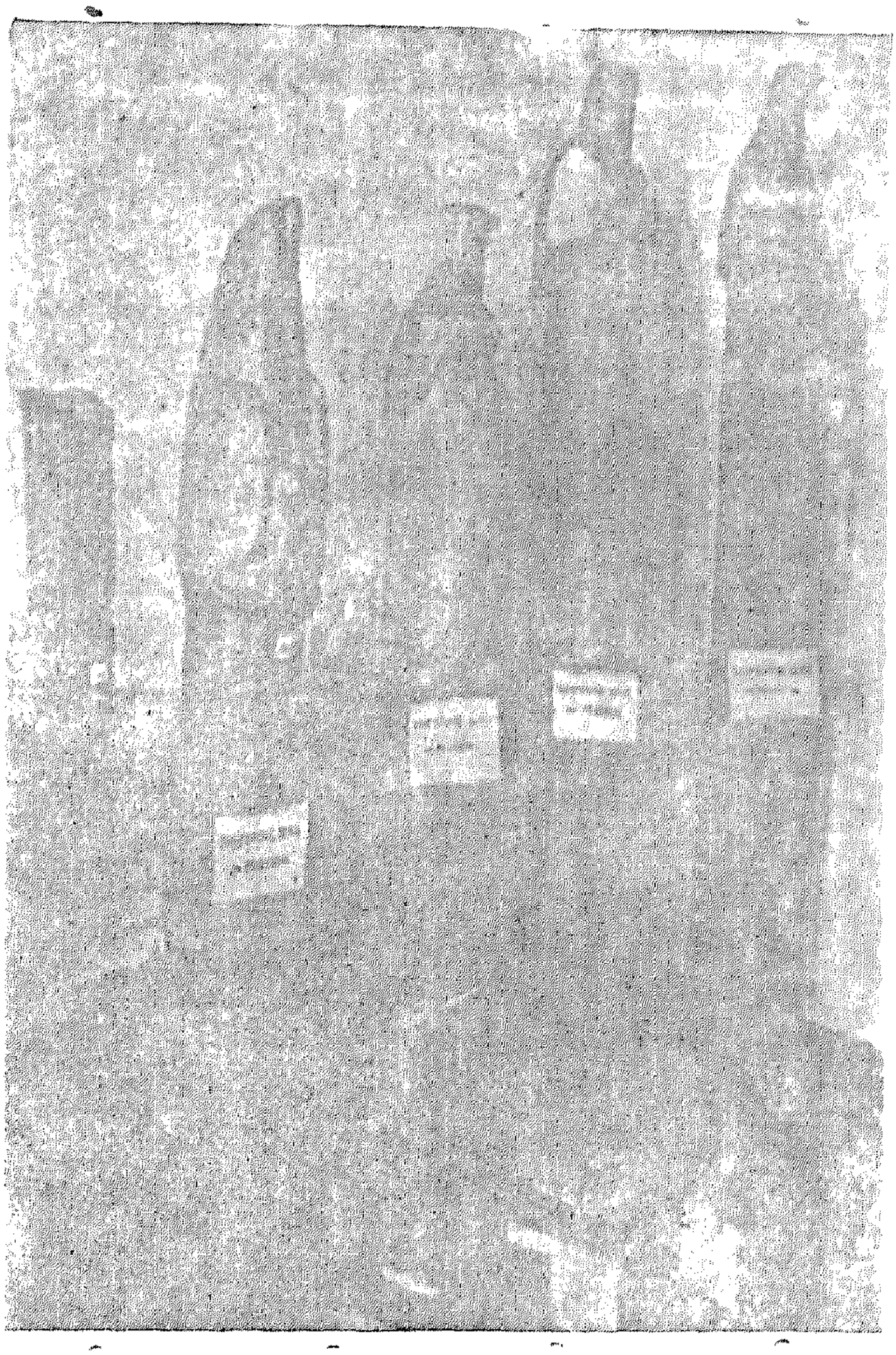

شكل (٩)

شكل (١٠)

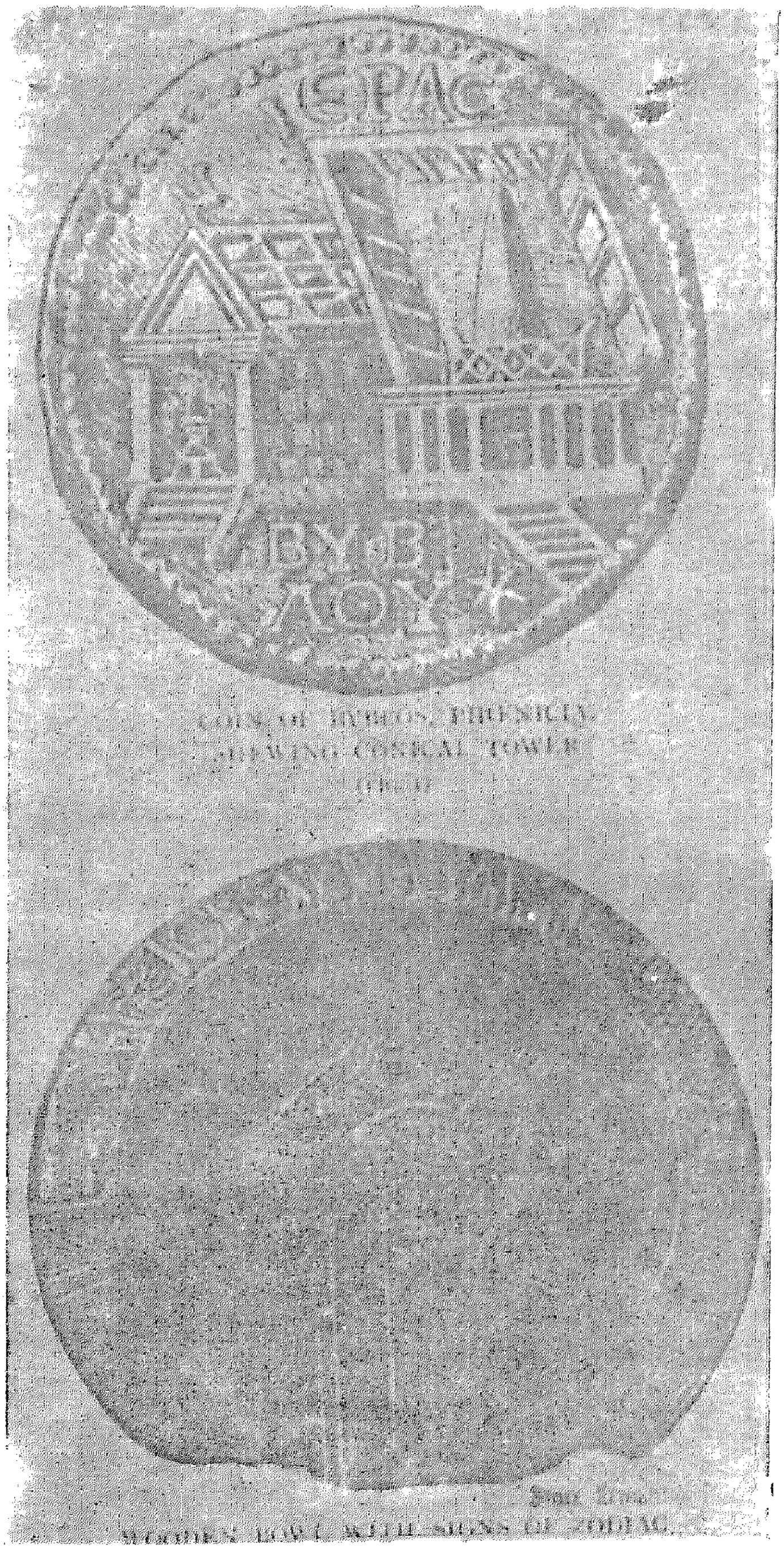

شكل (١١)

شكل (١٢)

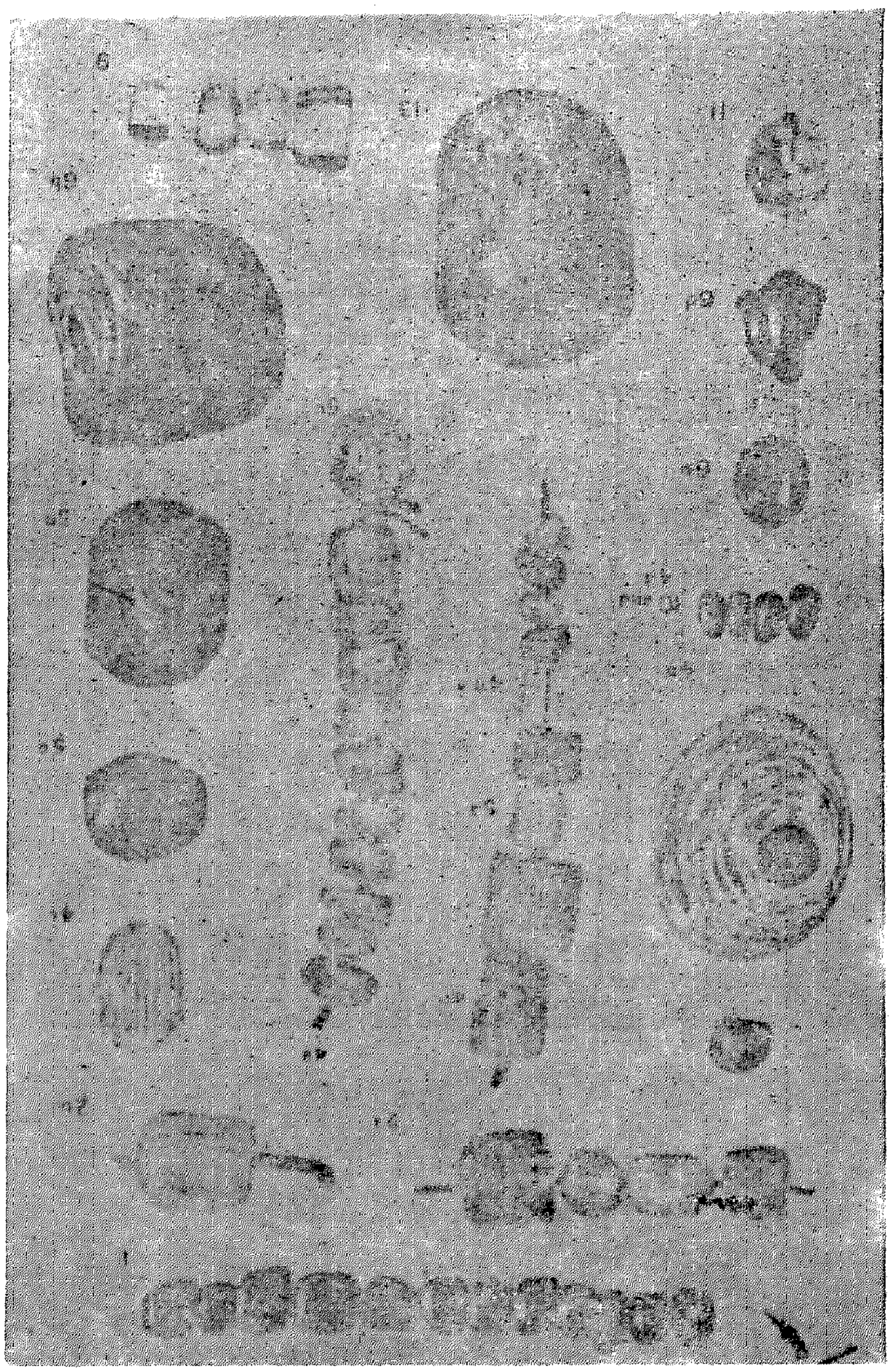

شكل (١٤)

CYLINDER SEAL RECENTLY FOUND IN PHOENICIAN TEMPLE OF PAPHOS, IN CYPRUS

شكل (١٥)

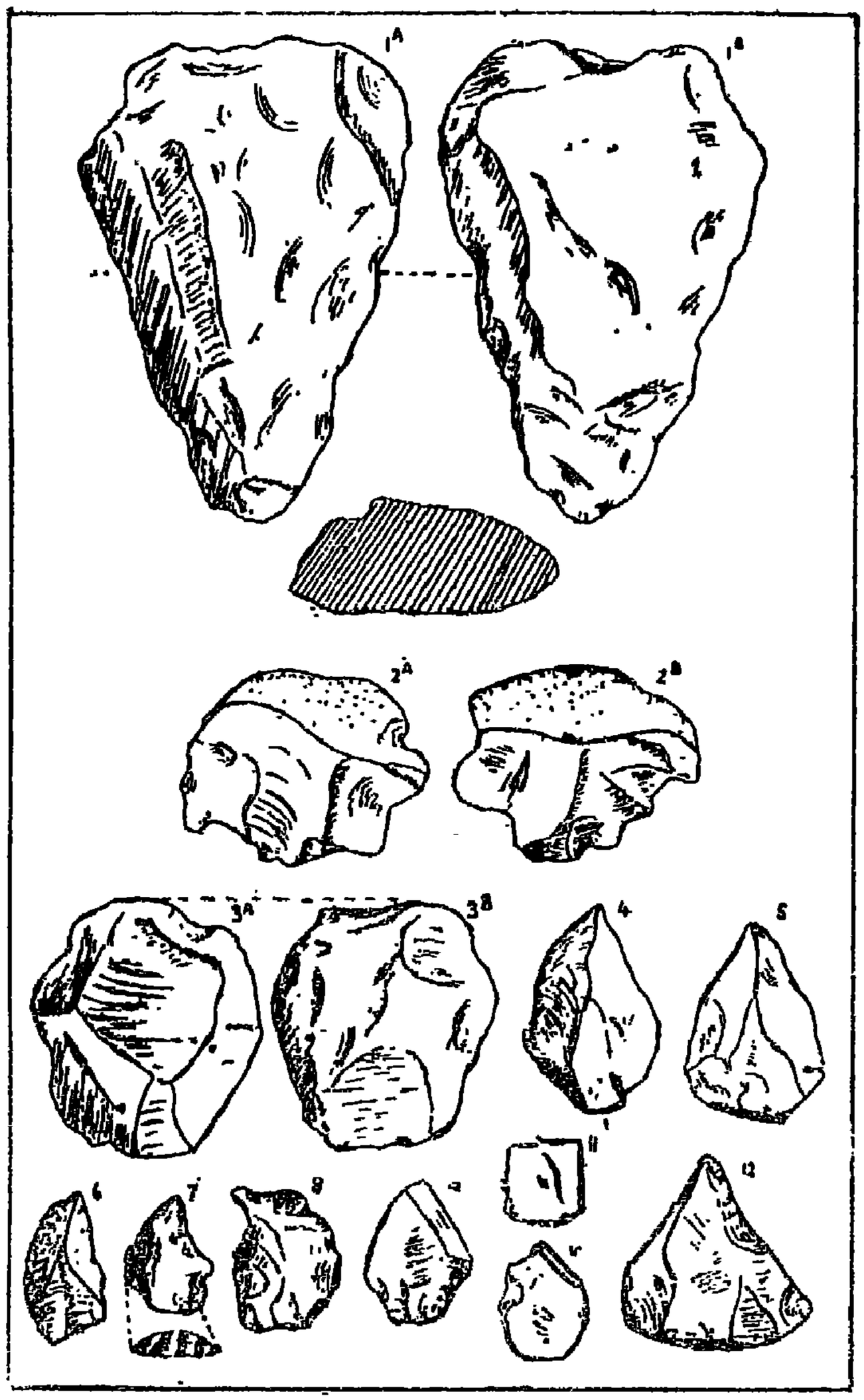

STONE IMPLEMENTS

1A–12. From beneath Conical Tower, Zimbabwe
3A 3B–12 From basal deposit Dhlo-Dhlo

شكل (١٦)

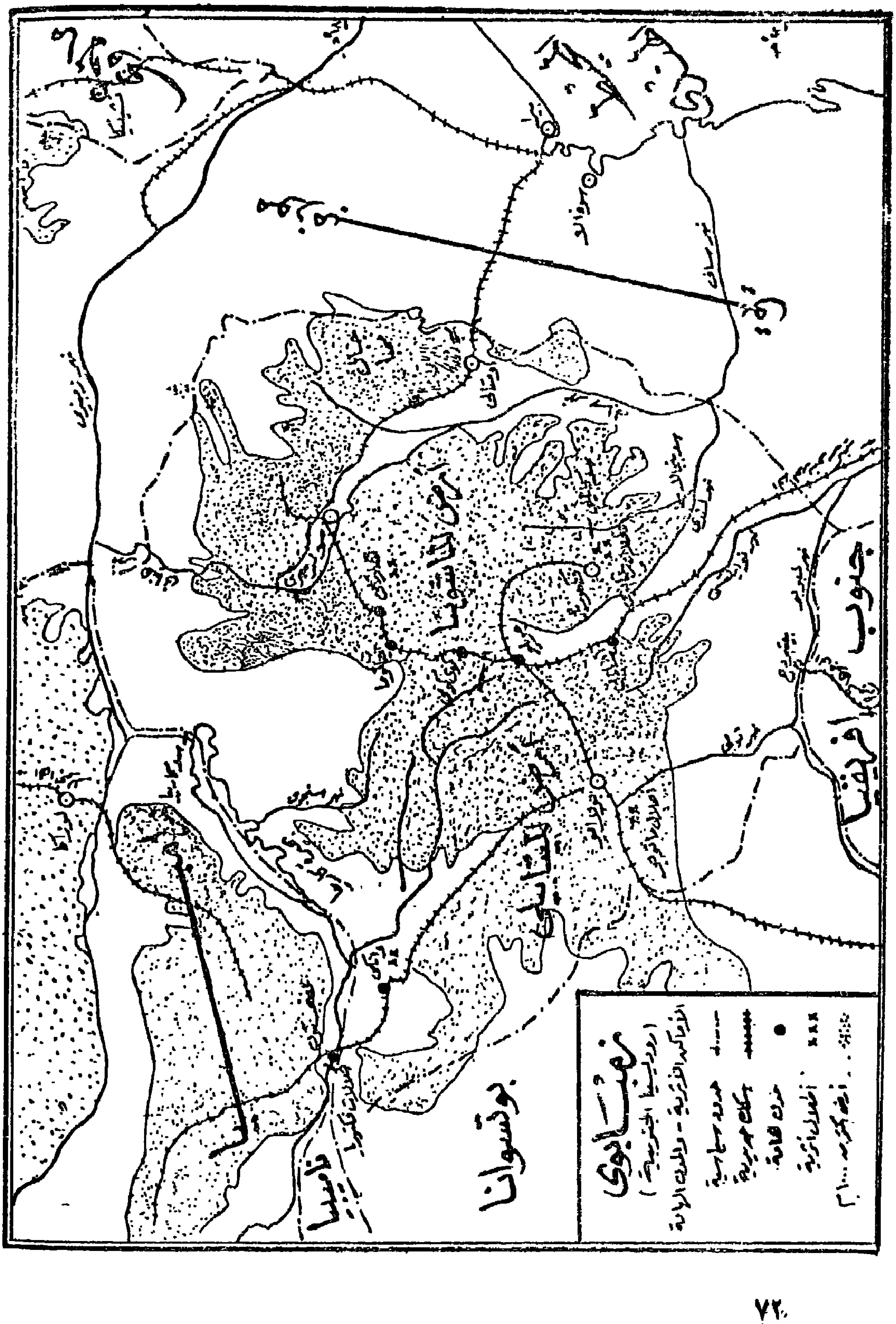
زمبابوي
(روديسيا الجنوبية)
بوتسوانا
جنوب افريقيا